

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف

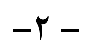
مشروعية
الدولة الوطنية

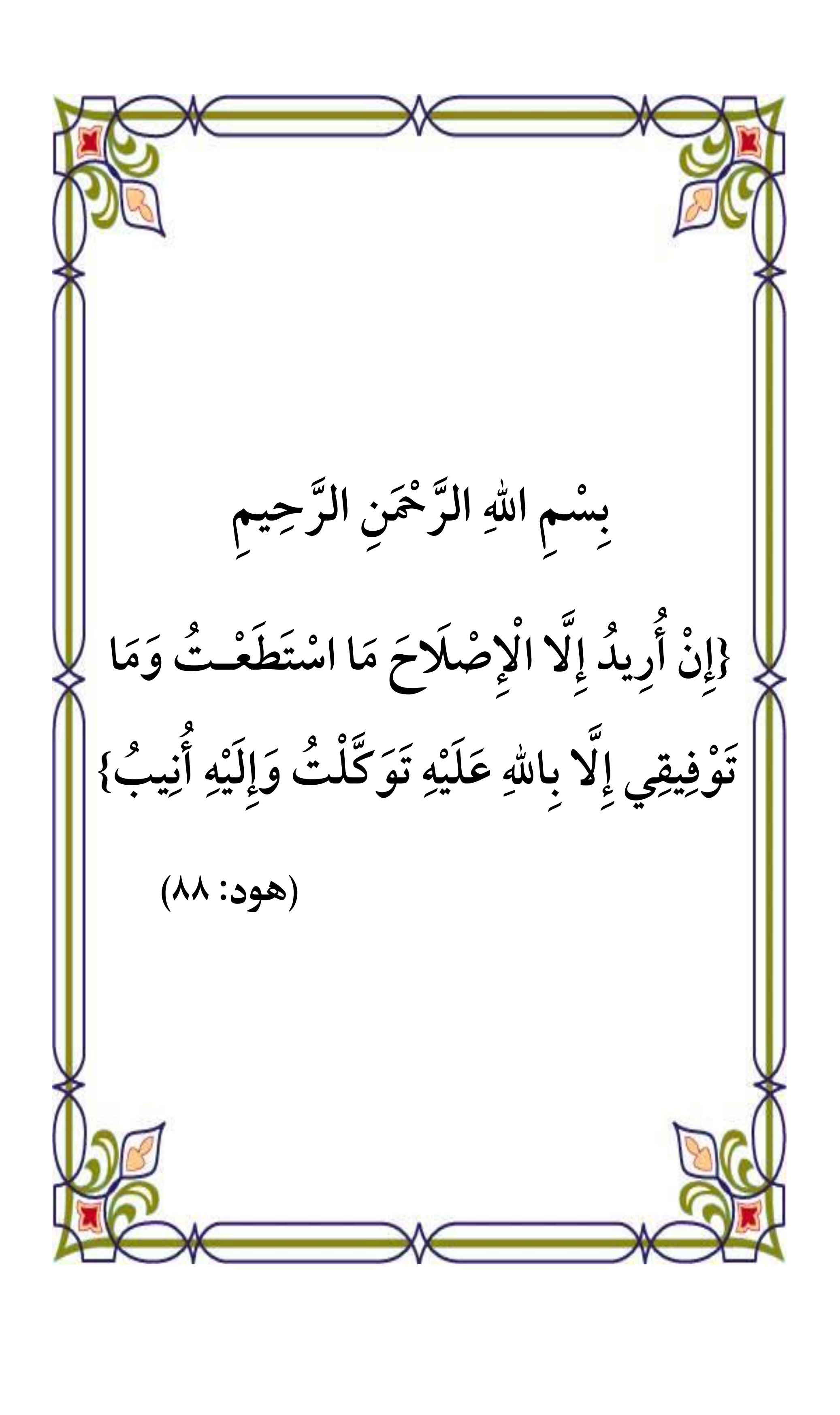
إعداد

أ.د/ محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م





بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْـتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}

(هود: ٨٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين ، وبعـد :

فلا شك أن قضية الوعي بالوطن وبمشروعية الدولة الوطنية ، وضرورة دعم صمودها ، والعمل على رقيها وتقدمها ، أحد أهم المرتكزات لصياغة الشخصية السوية ، وأحد أهم دعائم الولاء والانتماء للوطن والحفاظ على مقدراته وكل ذرة من ثراه الندي .

وفي السياق والمناخ الفكري الصحي لا يحتاج الثابت الراسخ إلى دليل ، لكن اختطاف الجماعات المتطرفة للخطاب الديني ومحاولات احتكارها له ولتفسيراته جعل ما هو في حكم المسلمات محتاجًا إلى التدليل والتأصيل ، وكأنه لم يكن أصلا ثابتًا .

على أن مشروعية الدولة الوطنية أمر غير قابل للجدل أو التشكيك، بل هو أصل راسخ ، بل إن كل ما يدعم بناء الدولة وقوتها هو من صميم اعتقادنا الإيماني ، وكل ما يؤدي إلى الفساد أو الإفساد أو التخريب أو زعزعة الانتماء الوطني إنما يتعارض مع كل القيم الدينية والوطنية .

وبما أن الجماعات الإرهابية والمتطرفة تحاول أن تتخذ من التشكيك في هوية الدولة الوطنية وسيلة لإسقاطها ومحاولة لزعزعة الانتماء الوطني بين أبنائها ، كان لزامًا علينا أن نؤكد على مشروعية

الدولة الوطنية ، وأن ما تقوم به الجماعات الإرهابية من داعش ، والقاعدة ، والنصرة ، وبوكو حرام ، وجماعة الإخوان الإرهابية ، وأضرابهم ، هو عين الجناية على الإسلام ، ذلك أن ما أصاب الإسلام من تشويه لصورته على أيدي هؤلاء المجرمين بسبب حماقاتهم لم يصبه عبر تاريخه الطويل ، ولو أن أعداءنا بذلوا ما في وسعهم ما نالوا من صورة الإسلام الناصعة معشار ما نالته منها جرائم تلك الجماعات الضالة.

ونظرًا لتأثير الشعر في النفوس ، وتزكية الحس الإنساني ، وإلهاب المشاعر الوطنية ، ألحقت بالكتاب مختارات منتقاة من الشعر الوطني.

وإني لأرجو بذلك أن أكون قد أسهمت في خدمة ديننا الذي تشوه هذه الجماعات جانبًا من صفحته البيضاء النقية ، وخدمة وطننا وأمتنا التي يعمل الإرهابيون ومن يستخدمهم على تمزيقها وتقطيع أوصالها ، مع كشف طبيعة هذه الجماعات الضالة الخائنة العميلة المأجورة وبيان زيغها وزيفها وعمالتها ، وتفنيد شبهها فيما يتصل بمحاولات إفشال الدولة أو إسقاطها ، مع تأكيدنا على مشروعية الدولة الوطنية ووجوب دعم صمودها ، والعمل على حفظ أمنها واستقرارها ، تحقيقًا لتقدمها ورخائها واستعادة أمجادها .

والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف

مشروعية الدولة الوطنية

في السياق والمناخ الفكري الصحي لا يحتاج الثابت الراسخ إلى دليل، لكن اختطاف الجماعات المتطرفة للخطاب الديني واحتكارها له ولتفسيراته جعل ما هو في حكم المسلمات محتاجًا إلى التدليل والتأصيل ، وكأنه لم يكن أصلا ثابتًا ، فمشروعية الدولة الوطنية أمر غير قابل للجدل أو التشكيك ، بل هو أصل راسخ لا غنى عنه في واقعنا المعاصر ، حتى أكد بعض العلماء والمفكرين أن الدفاع عن الأوطان مقدم على الدفاع عن الأديان ؛ لأن الدين لا بد له من وطن يحمله ويحميه ، وإلا لما قرر الفقهاء أن العدو إذا دخل بلدًا من بلاد المسلمين صار الجهاد ودفع العدو فرض عين على أهل هذا البلد رجالهم ونسائهم، كبيرهم وصغيرهم ، قويهم وضعيفهم ، مسلحهم وأعزلهم ، كل وفق استطاعته ومكنته ، حتى لو فنوا جميعا ، ولو لم يكن الدفاع عن الديار مقصدًا من أهم مقاصد الشرع لكان لهم أن يتركوا الأوطان وأن ينجوا بأنفسهم وبدينهم .

وتعني الدولة الوطنية احترام عقد المواطنة بين الشخص والدولة ، وتعني الالتزام الكامل بالحقوق والواجبات المتكافئة بين أبناء الوطن جميعا دون أي تفرقة على أساس الدين أو اللون أو العرق أو الجنس أو اللغة ، غير أن تلك الجماعات الضالة المارقة المتطرفة المتاجرة بالدين لا تؤمن بوطن ولا بدولة وطنية ، فأكثر تلك الجماعات إما أنها لا تؤمن بالدولة الوطنية أصلا من الأساس ، أو أن ولاءها التنظيمي الأيديولوجي

فوق كل الولاءات الأخرى وطنية وغير وطنية ، فالفضاء التنظيمي لدى هذه الجماعات أرحب وأوسع بكثير من الدولة الوطنية والفضاء الوطني.

وتسوّق سائر الجماعات المتطرفة أنها حامية حمى الدين ، وأنها إنما تسعى لتطبيق حكم الله (عز وجل) وإقامة شرعه ، ونتساءل : أين ما تقوم به هذه الجماعات من قتل ونسف وتفجير وتدمير وسفك للدماء وانتهاك للأعراض وسبي للحرائر ونهب للأموال وترويع للآمنين من شرع الله وحكمه .

إن ما تقوم به هذه الجماعات المتطرفة هو عين الجناية على الإسلام ، ذلك أن ما أصاب الإسلام من تشويه لصورته على أيدي هؤلاء المجرمين بسبب حماقاتهم لم يصبه عبر تاريخه على أيدي أعدائه من التتار بما ارتكبوه من مجازر في الماضي وما يصيبه على أيدي داعش ، والقاعدة ، والنصرة ، وبوكو حرام ، وجماعة الإخوان الإرهابية ، وأضرابهم في الحاضر .

ونستطيع أن نؤكد وباطمئنان على أمور ، أهمها :

الأول : أن الإسلام لم يضع قالبا جامدًا لنظام الحكم لا يمكن الخروج عنه ، إنما وضع أسسا ومعايير متى تحققت كان الحكم رشيدًا يقره الإسلام، وفي مقدمتها مدى تحقيق الحكم للعدل والمساواة وسعيه لتحقيق مصالح البلاد والعباد ، ولا إشكال بعد ذلك في الأسماء أو المسميات ، لأن العبرة بالمعاني والمضامين لا بالأسماء ولا بالمسميات .

الثاني : أنه حيث تكون المصلحة ، ويكون البناء والتعمير ، فثم شرع الله وصحيح الإسلام ، وحيث يكون الهدم والتخريب والدمار فثمة عمل الشيطان وجماعات الفتنة والدمار والخراب .

الثالث: أن العمل على تقوية شوكة الدولة الوطنية وترسيخ دعائمها مطلب شرعي ووطني ، وأن كل من يعمل على تقويض بنيان الدولة أو تعطيل مسيرتها ، أو تدمير بناها التحتية ، أو ترويع الآمنين بها ، إنما هو مجرم في حق دينه ووطنه معًا .

الرابع: أننا في حاجة ملحة إلى إعادة قراءة تراثنا الفكري قراءة دقيقة واعية تفرق بين الثابت والمتغير ، بين ما ناسب عصره وزمانه ومكانه من اجتهادات الفقهاء وما يتطلبه عصرنا ومستجداته من قراءة جديدة للنصوص يقوم بها أهل العلم والاختصاص لحل إشكاليات الحاضر وبخاصة فيما يتصل بأحكام الحرب والسلم والحكم ، ولا سيما في الرسائل العلمية والبحثية الجامعية المتخصصة حتى تكون الجامعة بحق في خدمة المجتمع ، وكذلك من خلال المجامع والهيئات والمؤسسات العلمية والفقهية المتخصصة .

❊ ❊ ❊

الوعـــي بالوطـــن

لا شك أن قضية الوعي بالوطن أحد أهم المرتكزات لصياغة الشخصية السوية ، وأحد أهم ضمانات الولاء والانتماء للوطن والحفاظ على مقدراته وكل ذرة من ثراه الندي ، وفرق بين العلم والوعي ، فكلاهما مطلوب ، لكن العلم شيء والوعي شيء آخر ، فكم من محسوب على العلماء أو الأكاديميين غير مثقفٍ ولا واعٍ بمفهوم الوطن وقضاياه وما يحيط به أو يحاك له انساق أو انجرَّ خلف أفكار جماعات متطرفة يدين لها بالولاء الأعمى حتى لمن هو دونه علمًا وثقافةً بمراحل ودرجات.

مع تأكيدنا أن المؤامرة الكبرى قد تتمثل في عدم وعينا أو غياب هذا الوعي ، وأن صياغة الوعي الصحيح وإعادة صياغة الشخصية المصرية يحتاجان إلى تضافر سائر مؤسسات الدولة المعنية ببناء الإنسان المصري، فنحن في حاجة إلى جهود المؤسسات الدينية والثقافية والإعلامية والتعليمية والتربوية لصياغة رؤية عصرية شاملة ومتكاملة ، وبخاصة في مجال القيم والهوية والانتماء الوطني.

الوطن ليس مجرد أرض نعيش عليها ، وليس حفنة تراب كما ذكر مرشد الجماعة الإرهابية ، الوطن معنى أبعد وأعمق من ذلك بكثير ، الوطن حياة ، الوطن كيان ، الوطن هوية ، الوطن انتماء ، الوطن أمانة، ولله در شوقي حيث يقول:

وَلِلأَوطـانِ فـي دَمِ كُـلِّ حُرٍّ   يَدٌ سَلَفَت وَدَيـنٌ مُستَحِـقُّ

وقد قالوا : رجل فقير في دولة غنية قوية خير من رجل غني في دولة فقيرة أو ضعيفة ، لأن الدولة القوية تحمي أبناءها وتحمي أموالهم وتوفر لهم الأمن والأمان ، أما الدولة الضعيفة فلا أمن فيها لأحد .

إن الوعي بالوطن يقتضي العمل على بنائه ورفعة شأنه في جميع المجالات : الاقتصادية ، والفكرية ، والثقافية والاجتماعية ، والإنسانية ، وبشتى السبل: بالعمل والإنتاج ، بالجد والاجتهاد ، بالدقة والإتقان ، بالتكافل والتراحم ، بالإخلاص للوطن ، والإخلاص في العمل ، بالعلم والفكر ، بالثقافة والإبداع ، بنشر القيم الإيجابية ، من الصدق ، والأمانة ، والوفاء ، والرحمة ، والتسامح ، والتيسير ، والمروءة ، والنظافة ، والنظام ، واحترام الكبير ، وإكرام الصغير ، وإنصاف المظلوم ، وإكساب المعدوم ، وإغاثة الملهوف ، ونصرة المظلوم ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، وإماطة الأذى عن الطريق ، والحرص على المنشآت العامة والمال العام ، والترفع عن الدنايا ، والبعد عن سائر القيم السلبية التي هي على عكس ذلك من الكذب ، والخيانة ، والغدر ، والأذى ، والبطالة ، والكسل ، والفساد ، والإفساد، والتخريب .

الوعي بالوطن يقتضي الإحاطة والإلمام بما يحاك له من مؤامرات تستهدف إنهاك الدولة ، وبخطورة الإرهابيين والعملاء والخونة ، والعمل على تخليص الوطن من شرورهم وآثامهم .

الوعي بالوطن يقتضي الوعي الكامل بمفهوم الوحدة الوطنية ، ويُفَوِّت الفرصة على من يعملون على اللعب في نسيج هذا الوطن ، ولذا

أعلنا وبلا أي تردد أن الاعتداء على الكنائس كالاعتداء على المساجد وأن أمن مصر لا يتجزأ ولا يقبل التفرقة أو التجزئة أو التصنيف ، فما يصيب أي مصري إنما يصيب المصريين جميعًا .

كما أكدنا أن من يفجر نفسه في البشر أو حتى في الحجر إنما هو مجرم منتحر يعجل بنفسه إلى نار جهنم ، وحتى من يقتل نفسه انتحارًا إنما يعجل بها إلى سواء الجحيم ، حيث يقول الحق سبحانه : {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا}(النساء : ٢٩-٣٠) ، ويقول سبحانه:{وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}(الأنعام : ١٥١) ، ويقول سبحانه في شأن عباد الرحمن: {وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا}(الفرقان ٦٨-٦٩) ، ويقول سبحانه : {أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} (المائدة :٣٢).

❊ ❊ ❊

الدولـــة لا الفوضـــى

هذا العنوان يحمل العديد من المدلولات الهامة ، أولها : الفرق بين الدولة والفوضى ، فالدولة حماية ، الدولة أمان ، الدولة ثقة ، الدولة استقرار ، الدولة نظام ، الدولة مؤسسات ، الدولة أجهزة ، الدولة بنى فكرية وسياسية واقتصادية وتنظيمية وتشريعية ، والفوضى على العكس من ذلك كله ، فهي اللانظام ، واللامؤسسات ، واللا أمان ، واللا استقرار ، واللا أمن ، وهكذا سلسلة من السلبيات لا الإيجابيات .

وقد حاول أعداء الأمة أن يسوقوا لهذه الفوضى ، وأن يجملوا وجهها ببعض المساحيق المسرطنة ، فقالوا : الفوضى الخلاقة ، والفوضى البناءة ، الفوضى الفاعلة ، في مؤامرات خسيسة ودنيئة لتفكيك دولنا ، والوصول بها إلى دويلات صغيرة وعصابات متناحرة ، وبالأحرى اللادولة على نحو ما أصاب كثيرًا من دول منطقتنا والعالم ، كل ذلك لتسهل السيطرة على هذه الدول ، ونهب خيراتها والاستيلاء على مقدراتها والتحكم في قراراتها وتوجهاتها ، أو التخلص من كيانها لو وجدوا إلى ذلك سبيلا ، ونسج مسخ جديد منبت الصلة عن ماضيه وحاضره ، حائر متوجس من مستقبله أو لا أمل له فيه أصلا ، ونسي هؤلاء أو تناسوا عِبر ودروس التاريخ من أنه لا أمان لأحد في هذا العالم ما دام ظلم الإنسان والعمل على استعباده قائما ، سواء أكان ذلك على مستوى الأفراد ، أم على مستوى الأمم والشعوب ، فما يحدث في شرق العالم نجد صداه في غربه وما يكون في شماله تجد أثره وصداه في جنوبه ، بل إن الجهات

الأربع تتداخل وتتوازى وتتقاطع في ظل أدوات التواصل الحديثة والعصرية التي جعلت من العالم كله قرية واحدة ، على أن الإرهاب عابر للقارات ، متجاوز للحدود ، فكما نؤكد دائما الإرهاب لا دين له ، ولا وطن له ، ولا عقل له ، وكما قالوا : فإن خلائق السفهاء تعدي .

ولا شك أن الفوضى التي تحدث حولنا كان مخططا لها أن تدور في بلادنا ، لكن ما تقوم به قواتنا المسلحة الباسلة ، ورجال الشرطة البواسل وكل أبناء الوطن الشرفاء قد أفشل وسيفشل بإذن الله تعالى كل مخططات أعدائنا .

على أننا يجب أن نتصدى وبمنتهى القوة والحسم لكل ما تقوم به أو ما ترمي إليه الجماعات الإرهابية من محاولة زعزعة استقرار المجتمع من خلال عمليات التفجير والتدمير وترويع الآمنين واستهدافهم وإطلاق الشائعات للتأثير على المجتمع وخلخلة ثوابته وثقته في قيادته ، وقد أكدنا من قبل وسنظل نؤكد أنه لا بد من محاكمة هؤلاء المجرمين بتهمة الخيانة الوطنية ، ففي الوقت الذي تحيط فيه بنا المخاطر من جوانب متعددة ، يحتاج منا جميعا أن نعمل وبكل حسم على تطهير جبهتنا الداخلية من الخونة والعملاء والمأجورين وأذناب الاستعمار وعملائه ، فعلى حد قول الشاعر العراقي "محمد مهدي الجوهري" :

ولقد رأى المستعمرون فرائسا ... منا وألفــوا كلب صيد سائبـا

فتعهدوه فراح طوع بنانهــم ... يبــرون أنيابا لــه ومخالبـــا

مستأجرين يخربون بيوتهــم ... ويكافأون على الخراب رواتبا

وينبغي أن يدرك الجميع أننا في مرحلة فارقة من تاريخنا سواء على مستوى الوطن ، أم مستوى الأمة، أم مستوى المنطقة ، وهذا يستدعي من جميع الوطنيين الشرفاء إيثار المصلحة العامة على أي مصلحة شخصية أو حزبية أو نفعية ، وأن نعمل جميعا على كشف الخونة والعملاء الذين نعد كشفهم والإبلاغ عنهم واجبًا وطنيًّا وشرعيًّا .

كما أن على كل واحد منا أن يبدأ بنفسه من خلال مسئوليته المجتمعية أو المؤسسية أو كليهما في أداء واجبه تجاه الحفاظ على الدولة وكيانها وبنائها المتماسك حتى لا نصير جميعًا إلى فوضى لا تبقي ولا تذر .

❋ ❋ ❋

مفهوم الأمن القومي

لا شك أن استقرار أي دولة إنما يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالحفاظ على أمنها القومي ، بل بمدى حرص كل فرد من أفرادها على مستوى هذا الأمن ، وعدم المساس به ، ولاسيما من كان في موضع اتخاذ القرار ، وعلى وجه أخص القرارات التي تتصل بالتعامل مع العالم الخارجي ، أو تؤثر في هذا التعامل .

وإذا كان الأمن القومي لأي دولة مستقلة ذات سيادة خطًّا أحمر لا يمكن تجاوزه أو التسامح تجاهه فإن الحفاظ على عدم المساس بهذا الخط أو السماح بتجاوزه يقتضي وعيًا وثقافة وتثقيفًا مستمرًا وعلميًّا ومنهجيًّا بمفهوم الأمن القومي ، وأستطيع أن أقول : إن عقد دورات مكثفة في ذلك لكل من يتولى موقعًا أو منصبًا قياديًّا بات أمرًا ضروريًّا شديد الإلحاح ، إذ لا تكفي المهارات الفنية أو التقنية أو الإدارية في تكوين رؤية شاملة تؤدي إلى الاتجاه والمسار الصحيح ، ما لم تكن هناك رؤية أبعد ونظرة أشمل لأثر أي قرار يتخذ على الأمن القومي العام .

وقد لا يخطر ببال بعض الناس أن ما يتخذه من قرارات أو ما يقوم به من تصرفات أو ما يقيمه من علاقات يمكن أن يكون ذا أثر في الأمن القومي ، وقد لا يكون ذلك عن سوء قصد ، وإنما لعدم الإلمام بمعطيات الأمن القومي ، أو لأن هذه المعطيات غير حاضرة في شعوره بالقدر الكافي ، على أن المرحلة والظروف التي تمر بها البلاد والمنطقة والعالم

تحتاج من المواطن العادي فضلا عن المسئول أو متخذ القرار أن يكون على أعلى درجة من الوعي بالأمن القومي لبلاده ، سواء في اتخاذ القرارات ، أم في إقامة العلاقات ، أم في عقد الاتفاقيات والبروتوكولات .

وإذا كان مستوى الوعي بأهمية وخطورة كل ما يتصل بالأمن القومي متفاوتًا بين شخص وآخر لاعتبارات كثيرة من أهمها : الثقافة ، والحرص على المصلحة الوطنية ، وحمل هم الوطن ، وجعل المصلحة العليا للوطن فوق كل اعتبار ، فإن الأمر يقتضي :

أ- المزيد من التثقيف والتوعية بمفهوم الأمن القومي ، من خلال الدورات التدريبية المكثفة لكل من يتولى عملاً قياديًّا .

ب- التوعية بمفهوم الأمن القومي وضرورة الحفاظ عليه من السياسيين والمفكرين والكتاب والمثقفين ووسائل الإعلام ، وبخاصة من يمتلكون الرؤية الثاقبة والوعي الناضج بمفهوم هذا الأمن ، واعتبار ذلك أحد أهم عوامل استقرار البلاد.

ج- ضرورة التنسيق المسبق مع الجهات المختصة بذلك قبل عقد أي اتفاقيات أو بروتوكولات مع أي جهة خارجية ، تحسبًا لأي اختراق أو تأثير على مصالحنا القومية ، حتى لو كان ذلك عن غير قصد .

مع التأكيد على أن مفهوم الأمن القومي لأي بلد يقتضي الإلمام بالأحوال السياسية الداخلية والخارجية ، الإقليمية والدولية ، فعمقنا العربي ، وعمقنا الأفريقي ، وعالمنا الإسلامي ، وعلاقتنا الدولية ، كل

ذلك يجب وضعه في الاعتبار عند اتخاذ القرارات الهامة والحيوية ، ودراسة مدى تأثيرها على هذه العلاقات ، ومردودها الإيجابي أو السلبي على كل منها ، مع دراسة الأولويات ، ومعرفة مواطن الثقل وهوامش الحركة في كل اتجاه .

ولا شك أن العلاقات السياسية ، والعسكرية ، والاقتصادية ، والثقافية ، والفنية ، والإعلامية إنما يرتد أثر بعضها على الآخر ، إذ لم يعد ممكنا فصل أي منها عن الآخر فصلا باتًا ، بحيث تتحرك كل مؤسسة وكأنها عالم خاص ، إنما ينبغي أن يكون تصرف كل مؤسسة ناظرًا بعين اعتبار قوية على أثر تصرفه على المؤسسات الوطنية الأخرى ، ولا شك أن هذا الأمر يقتضي حسًّا وطنيًّا عاليًا ، ودربة وخبرة كبيرة ، وأن نعمل جميعًا بروح الفريق ، وأن ننطلق من قاعدة: " عموم الفهم وخصوصية التكاليف " ، بأن يكون كل مسئول على مستوى مسئوليته الكاملة بالمهام المسندة إليه واختصاصه بها وعلى مستوى عال من الفهم والوعي بعمل الفريق الذي يعمل معه ، ومقتضيات اتخاذ القرار في المؤسسة التي ينتمي إليها .

مع التأكيد على أن الدول لا تستقر بمجرد النوايا الحسنة دون الوعي والتخطيط واليقظة ، في عالم من لم يتذأب فيه أكلته الذئاب، وقد كان سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول : " لست بالخب ولكن الخب لا يخدعني " ، وكان المغيرة بن شعبة يقول : " لولا الإسلام لمكرت مكرًا لا تطيقه جزيرة العرب " ، فلا بد مع النية

الحسنة من صحة العمل وإتقانه ، يقول الحق سبحانه : { قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}(الكهف : ١٠٣-١٠٤) ، ولذا أكد القرآن الكريم على شرطي الأمانة والكفاءة ، إذ لا تكفي إحداهما عن الأخرى ، وذلك حيث يقول سبحانه على لسان ابنة شعيب (عليه السلام) : {يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} (القصص: ٢٦) ، ويقول (عز وجل) على لسان يوسف (عليه السلام) : {اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ}(يوسف : ٥٥).

❊ ❊ ❊

الدولة الوطنية والهوية العربية

قضية الهوية والانتماء من أهم القضايا التي إما أن تؤدي إلى الأمن والاستقرار ، والازدهار والنماء ، وإما أن تؤدي إلى التشرذم والتفكيك ، وإثارة الاضطرابات والقلاقل والفتن ، وربما العمالة أو الخيانة.

وللهوية أركانها ومعالمها التي يقاس من خلالهما مدى انتماء المرء لوطنه وهويته ، ولا شك أن جميع الدول والقوميات والأعراق والمذهبيات سواء تلاقت أم تداخلت أم توازت أم تناقضت ، فإن كلا منها يسعى ويعمل على تعميق الولاء والانتماء له لدى منتسبيه أو مستهدفيه ، غير أن هناك صراعًا تاريخيًّا أو شبه تاريخي يقوى ويطفو على السطح حينًا ، ويخفت ويستتر حينا آخر ، لكنه موجود بصورة أو بأخرى على أية حال ، وهو ذلك الصراع بين الحريصين على هوية الدولة الوطنية ومن يعملون أو يدينون بولاءات أخرى .

والفهم الخاطئ الذي أصلته ورسخته كثير من الجماعات المتطرفة لدى عناصرها هو أن الولاء للجماعة والتنظيم فوق الولاء للوطن ، وهذا الفهم تتبناه جميع الجماعات الإرهابية والمتطرفة التي ترى أن الدولة الوطنية بحدودها الراسخة المستقرة تقف صخرة وعقبة كئود في وجه مشروعاتهم السلطوية للقفز على الدولة الوطنية.

ونؤكد على الآتي :

١– أهمية تعميق وترسيخ الولاء والانتماء الوطني ، والاعتزاز بالوطن

والاستعداد لفدائه بالنفس والنفيس مع الشعور بفضله ، والحفاظ على ترابه وثراه ، والتأكيد على أن الوطنية ليست نقيضًا للدين أو مقابلا له، بل هي من صلب الدين ، وهذا نبينا (صلى الله عليه وسلم) يقول مخاطبًا مكة المكرمة : (مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلْدَةٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ ، وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ ، مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ) (رواه الترمذي).

وفي رواية الإمام أحمد في مسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: وَقَفَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) عَلَى الْحَزْوَرَةِ – قرية إلى جنب المدينة –، فَقَالَ: (عَلِمْتُ أَنَّكِ خَيْرُ أَرْضِ اللهِ ، وَأَحَبُّ الأَرْضِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَوْلاَ أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ) ، وظل (صلى الله عليه وسلم) يصوب نظره إلى السماء آملا أن يرده الله (عز وجل) إليها ردًّا جميلا ، ولو بالتحول تجاهها في صلاته ، حتى نزل قول الله تعالى : {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ}(البقرة : ١٤٤).

٢- أن ترسيخ الهوية الوطنية له معالمه الظاهرة من احترام علم الدولة والعمل على رفعه عاليًا ، وترسيخ نشيدها الوطني وكل ما يحفر اسمها في النفوس والقلوب ، وله ما يدعمه مضمونًا وجوهرًا من العمل والإنتاج ، وإيثار المصلحة العامة للوطن على أي مصالح أخرى ، وإدراك أن مصلحة الوطن هي مصلحة لجميع أفراده وأبنائه ، وأن رجلا فقيرًا في دولة غنية قوية خير مائة مرة

ومرة من رجل غني قوي في دولة فقيرة ضعيفة مهددة في كيانها وأصل وجودها .

٣- أن الهوية الوطنية قد تتلاقى مع هويات أخرى عربية ، أو إسلامية، أو أفريقية ، أو أسيوية ، حسب ظروف وموقع كل دولة ، على ألا يكون ذلك توجه أفراد أو جماعات أو أحزاب أو قبائل بمعزل عن التوجه الوطني ، فيذهب هذا إلى الشرق وذاك إلى الغرب وآخر إلى الشمال ورابع إلى الجنوب ، مما يؤدي إلى تمزق الدول وتفككها وتشتيت كيانها بل ربما تشرذمها ، بل أن تكون الدولة الوطنية على قلب رجل واحد في توجهاتها بما يعطيها القوة في محيطها الإقليمي وفي علاقاتها الدولية.

٤- أننا مع اعتزازنا بهويتنا وحضارتنا وثقافتنا الإسلامية وإدراكنا لأهمية العمق الاستراتيجي الأفريقي ، فإننا نرى في بعدنا العربي بعدًا هامًّا يتطلب مزيدًا من العمل المشترك في ظل التحديات التي تواجه عالمنا العربي في وجوده وكيانه وتماسكه ، متطلعين إلى دور أكبر وحركة دءوب لجامعة الدول العربية بما يحقق جمع الشمل العربي ، إذ نرى أن هذا الأمر صار ملحًّا ، وأن المصلحة العربية المشتركة تقتضي أقصى درجات التنسيق والمشاركة في كل المجالات بما يحفظ للأمة العربية هويتها ، ويحقق لها مجتمعة أمنها واستقرارها ، ويسهم في القضاء على الإرهاب في المنطقة ، ويخلصها ويسهم في تخليص العالم كله من شر التطرف والإرهاب ،

آملين أن يُشكل عملنا المشترك قوة ضاغطة في جميع المحافل الدولية بما يسمع صوتنا للعالم ، ويبرز أننا ضحايا ولسنا جلادين ، وأننا في مقدمة المواجهين للإرهاب لأننا أكثر من يكتوي بناره ، وأننا دعاة سلام لا دعاة حرب ، غير أنه سلام لا يمكن أن يكون ولن يكون أبدًا استسلامًا ، وأن هذه الأمة لن تستسلم ولن تموت ، وأن روح المقاومة فيها لا تزال وستظل حية قوية ، وأنها لا يمكن أن تكون صيدًا سهلا لأعدائها ، وأنها على قدر المسئولية والتحديات ، غير أن الأمر يتطلب تحركًا سريعًا على كل المستويات قبل فوات الأوان ، لأن الخطر داهم ، والخطب شديد والعدو شرس لا يهدأ ولا ينام ، ويجب أن تكون يقظتنا أشد وهمتنا أعلى ، لأن الأمر يتعلق بأصل وجودنا ، فإما أن نكون أو ألا نكون ، مع التأكيد على أننا معًا سنكون قادرين على تجاوز التحديات ، معًا على المستوى الوطني ، والمستوى العربي ، والمستوى الإسلامي ، والمستوى الأفريقي ، والمستوى الدولي ، معًا مع الدول الصديقة والمحبة للسلام ، معًا وفي كل ميدان بحسبه وما يناسبه ، وليس أي من هذه العلاقات على حساب علاقة أخرى تتساوق معها أو تتوازى ، على أننا إن أحسنا إدارة الأمر فستكون كل علاقة منها دعمًا للعلاقات الأخرى ، وبما يحقق مصالح الجميع ، إذن ينبغي على كل طرف أن يحمل الخير لنفسه ولغيره وللإنسانية لنحيا معًا حياة هادئة هانئة ، لا أن تتحول

الساحة الدولية إلى صراعات مختلفة لا تبقي ولا تذر ، ولا تعود بالخير على أحد ، فالعاقل من يعمل للسلام له ولغيره ، والأحمق من يسعى للهلاك والدمار والقلاقل والفتن ، فإن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر ، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير ، فطوبى لمن جعله الله مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر ، وإنا لنرجو أن نكون منهم إن شاء الله تعالى.

❊ ❊ ❊

لماذا يابن العلقمي؟

لماذا يابن العلقمي أنت مُصرٌّ على الخيانة ؟ بل لماذا أنت مُصرٌّ على خيانتنا نحن بالذات ؟ هل لأننا الأقوى ، أو لأننا الأشرف؟ أو لعقدة نقص في نفسك أو في تاريخك ؟ ، أو لأننا الشعب الأعرق تاريخًا وحضارة؟ ، أو لأننا صمام أمان المنطقة وأنتم تريدونها فوضى ؟ أو لأن الخيانة تسري في دمك ؟ أو لذلك كله مجتمعًا ؟ .

لقد عرف تاريخنا أبطالا عظامًا من أمثال : خالد بن الوليد ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبي عبيدة بن الجراح ، وسيف الدين قطز ، والظاهر بيبرس ، وصلاح الدين الأيوبي ، كما عرف خونة لئامًا ، لعل أشهرهم ابن العلقمي ، ووالي عكا .

لماذا يابن العلقمي أنتم مصرون أن تقفوا موقف اللئام؟ وأن تصطفوا في صفوفهم ؟ ، وأن تبيعوا الدين والوطن والإنسانية وكل شيء جميل بثمن بخس ، وحتى بلا ثمن ؟ لماذا أنتم بهذه الوقاحة والحقارة؟ ولماذا كل هذا السقوط والتردي وتلك النذالة ؟ ولماذا تكيدون لنا نحن بالذات كل هذا الكيد ؟ ومن دون خلق الله أجمعين كيدًا لم تكيدوه لأحد غيرنا ؟ لماذا ونحن لا نعرف الغدر ، ولا الخيانة ، ولا التدخل في شئون الآخرين؟

وكما يقولون في مجال النهب وفساد الذمم : إن هناك قططا سمانًا وقططًا صغارًا تتقوت على فتات تلك القطط السمان ، فإن هناك خونة كبارًا أمثال ابن العلقمي ووالي عكا ما زالوا يؤدون دورهما ضدنا ،

وحذو النعل بالنعل ، في تسليم مفتاح المدينة الصامدة الباسلة لأعدائنا ، وإلى جانبهم ينتشر آلاف القطط الصغار أو بعبارة أدق الخونة الصغار الذين يمهدون الأرض أمام هؤلاء الخونة الكبار .

على أن الذي أؤكد عليه وأنبه له هو أن معظم النار من مستصغر الشرر، وأن خطر الخونة الصغار لا يقل عن خطر الخونة الكبار ، ذلك أن الخونة الكبار لا يستطيعون أن يحرزوا أهدافًا إلا في مناخ يسمح بحركة الخونة الصغار وانتشارهم على الأرض ، مما يشكل حواضن للخيانة الكبرى أو الخونة الكبار .

ولو فتشت وراء كل خيانة عصرية لرأيت تنظيم الإخوان في القلب منها ، فهم الداء العضال الذي ابتليت به الأمة منذ أن استطاعت بعض استخبارات القوى العالمية والدول الكبرى إنشاء وزرع هذه الجماعة الإرهابية في قلب منطقتنا ، كزراعة العدو الصهيوني سواء بسواء ، فكلاهما رأس حربة ضدنا ، أحدهما في صدر هذه الأمة ، والآخر في ظهرها ، على أن الطعن في الظهر أشد وأنكى .

وإذا كان شاعرنا العربي يقول:

وظلمُ ذوي القربى أشدُّ مضاضةً   على المرءِ من وَقْعِ الحُسامِ المُهنّد

فخيانة ذوي القربى أشد وأنكى ، لذا يجب أن نتنبه وبقوة لحجم الأخطار المحيطة والمحدقة بنا خارجيًّا وداخليًّا ، وأن نعمل على درئها قبل فوات الأوان ، وأترك لكل قارئ أن يدرك من هو ابن العلقمي الجديد ، ومن هو والي عكا الجديد في زماننا هذا ، ومن الذي يؤدي

دور كل منهما في منطقتنا.

وإذا كان دور الخائن الصغير لا يقل خطرًا في هذه المرحلة عن دور الخونة الكبار أو القطط السمان فيجب علينا أن نضرب بيد من حديد على أيدي كل خائن وعميل ، وعلى أيدي كل من يعيثون في الأرض فسادًا أو إفسادًا أو تخريبا ، وأن ندرك أن واجب الوقت يحتم علينا وبقوة أن نعمل متضامنين على إنقاذ وطننا وأمتنا مما يراد بهما ، وأن نكون على يقين من أن حماية الدولة الوطنية ودعم صمودها وكشف أعدائها في الداخل والخارج ، وبخاصة الخونة والعملاء ، وعلى وجه أشد خصوصية من يتاجرون بالدين ويتخذونه ستارًا ، أمر يأتي في مقدمة أولويتنا جميعًا ؛ حفاظًا على بناء الدولة وتماسكها ، موقنين أن حفظ الدولة إنما هو حفظ للدين، ولا سيما أن مصرنا الغالية هي بمنزلة القلب النابض للعروبة والإسلام ، ودعمها واجب وطني وشرعي ندين لله (عز وجل) به ونلقاه عليه ، ولا سيما في هذه الظروف الصعبة والأخطار التي تحيط بنا وبمحيطنا الإقليمي.

❊ ❊ ❊

المنتـــج الـــوطني

لا بديل أمام الجميع سوى تشجيع المنتج الوطني المحلي على كل المستويات ، فمع صعود أرقام الواردات في بعض السلع الكمالية والسلع التي لها بديل أو نظير وطني إلى مبالغ طائلة في ظل ظروفنا الاقتصادية الاستثنائية ، فإن الأمر يتطلب تحركًا سريعًا على جميع المستويات.

وفي إطار الاتفاقيات التجارية الدولية يظل الوازع الوطني هو الأهم لدى المسئولين عن المناقصات والمزايدات وأوامر الشراء في جميع المؤسسات والقطاعات الحكومية وقطاع الأعمال أو الشركات والمؤسسات العامة والخاصة هو الأجدى والأهم في مجال التطبيق ، ولا يمكن إغفال دور منظمات المجتمع المدني والضمير الوطني العام لدى جميع أبناء الوطن ، فتشجيع المنتج المحلي الوطني يسهم في دوران عجلة العمل بالمصانع المحلية ، ويوفر المزيد من فرص العمل لأبنائنا وشبابنا ، ويوفر الكثير من العملة الصعبة ، كما ينبغي على التجار أيضًا إيثار المصلحة الوطنية العامة على إيثار المزيد من الكسب السريع .

لكن على الجانب الآخر وبالتوازي يجب التأكيد على أمرين :

الأول : المراقبة الصارمة لجودة المنتجات الوطنية ، بدءًا من تحديث آلات ووسائل الإنتاج إلى تدريب وتأهيل العمال والصناع ، إلى أن تصبح الجودة والإنتاج ثقافة وطنية عامة ، مع الاستعانة بالخبرات المتميزة في مجالي العرض والتسويق ، وإبراز المنتج الوطني والعمل

على إعطائه مكانة بارزة في العرض والتسويق ، فالمنتج الذي لا يجد صدى واهتمامًا في بلده لا يمكن أن يجد صدى ولا اهتمامًا خارج بلده حتى إن بعض الدول والمنظمات والجهات تشترط في بعض المنتجات كالدواء مثلا تداول المنتج في بلده الأم قبل استيراده منها ، وينبغي أن يكون لدينا جميعًا اعتزاز بمنتجاتنا الوطنية داخل مصر وخارجها ، فديننا دين الإتقان ، حيث يقول الحق سبحانه : {صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ}(النمل: ٨٩) ، ويقول سبحانه : {إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً} (الكهف : ٣٠) ، ولم يقل سبحانه إنا لا نضيع أجر من أكثر عملا ، فالعبرة بالجودة والإتقان لا بالكم ولا الكثرة ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَهُ) (رواه الطبراني).

ومن أركان هذا الإتقان أن يقوم كل من توكل إليه مهمة مراقبة الجودة بعمله على الوجه الأكمل دون أدنى تقصير أو محاباة ، وأن تتم محاسبة المقصرين كما تتم إثابة المتميزين إعمالا لمبدأ الثواب والعقاب، مع التأكيد على أن ما عند الله (عز وجل) من الثواب والعقاب يتطلب الإتقان في العمل ؛ حرصًا على فضل الله ورحمته واتقاءً لغضبه وعقابه في الدنيا والآخرة .

الأمر الآخر : محاربة كل ألوان الجشع والاستغلال والاحتكار ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْعَارِ الْمُسْلِمِينَ لِيُغَلِّيَهُ عَلَيْهِمْ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُقْعِدَهُ بِعُظْمٍ مِنَ النَّارِ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ) (رواه أحمد) وفي رواية : (وقد بَرِئَت منه ذمة الله ورسوله) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (لَا يحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِئٌ) (صحيح مسلم) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَنِ احْتَكَرَ حُكْرَةً يُرِيدُ أَنْ يُغْلِيَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَهُوَ خَاطِئٌ) (رواه الإمام أحمد في مسنده) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَنِ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فقَدْ بَرِئَ مِنَ الله ، وَالله بَرِئٌ مِنْهُ ، وَأَيُّمَا أَهْلِ عَرْصَةٍ ظَلَّ فِيهِمُ امْرُؤٌ جَائِعًا ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ الله) (رواه الإمام أحمد في مسنده) .

وعلى العكس من ذلك كله فإن ديننا الحنيف يدعو إلى التراحم والتكافل وتخفيف الكرب ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ مَنْ كَانَ في حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ في حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (متفق عليه).

❋ ❋ ❋

دولة المؤسسات

الدولة العظيمة هي التي تقوم على مؤسسات قوية ، وتعمل على تقوية مؤسساتها الوطنية ، وترسيخ دعائمها ، وهي التي تعمل جاهدة على التخلص من الكيانات الإرهابية التي تحاول أن تحل محل مؤسسات الدولة أو تعمل على مزاحمتها من جهة ، كما تعمل على التخلص من النظام الشمولي والرأي الفردي من جهة أخرى ، فكما قالوا :

رأي الجماعة لا تشقى البلاد به   رغم الخلاف ورأي الفرد يشقيها

لقد زالت دولة الفرد ، وأصبحت لا بقاء لها في عالم يلفظ الديكتاتورية بكل عناصرها وألوانها وحتى مساحيقها ، ولله در شوقي حيث يقول مخاطبًا اللورد كرومر :

زمان الفرد يا فرعــون ولَّى   ودالت دولـــة المتجبرينـا

وأصبحت الرعاة بكل قطر   على حكم الرعية نــازلينـا

النظام المؤسسي يقوم على إعلاء دور المؤسسات ، وعلى أن الشعوب مصدر السلطات ، أليست الشعوب هي التي تختار نوابها وممثليها؟ وهذه المجالس النيابية أو البرلمانية إنما هي أدوات الدولة الديمقراطية التشريعية والرقابية ، فإذا امتلكت الدولة مع ذلك إرادة سياسية لاحترام المؤسسية وتقدير دور المؤسسات وإعطائها فرصتها لتَعمل وتُعمل أدواتها ، وتتكامل في أدوارها في ظل قائد حكيم ، يفصل بين السلطات ويحـول دون تضاربها ، ويوجه بوصلتهـا في الاتجاه الصحيح

لتتكامل ولا تتنافر ؛ لكان ذلك من أهم عوامل البناء والتقدم والرقي .

وإذا أدركت هذه المؤسسات طبيعة الوقت ، وتحديات الظرف ، والمخاطر المحيطة بالوطن أو المحدقة به ، فتجانست وتكاملت ، وعرف كل منها واجبه فلم يتقاعس عنه ، ودوره فلم يتجاوزه ، وأدرك الجميع أن الوطن للجميع ، وبالجميع ، ويتسع للجميع ، وأن فرقًا شاسعًا بين المنافسة المحمودة في خدمة الوطن ، والتنافس المذموم في الصراع على المصالح ، لاختصرنا كثيرًا من الخطوات في اتجاه البناء ، وتفادينا كثيرًا من عوامل الإسقاط والإفشال والهدم .

والذي لا شك فيه ولا مرية أننا في مصرنا الغالية نرسخ لنظام مؤسسي يحترم المؤسسات الوطنية ، ويقدر دورها ، ويعمل على تقويتها ، ويعطيها الفرصة كاملة لإعادة بناء نفسها على شروط وطنية ، وأرضية وطنية ، وقواعد وطنية صلبة لا تمييز فيها على أساس الدين ، أو اللون ، أو العرق، أو الجنس ، وبصورة ودرجة على الأقل لم نعهدها في جيلنا ، فنحن أمام رؤية مختلفة عما مضى ، رؤية ثاقبة ، لو أحسنا استغلالها ، لتغيرت أحوالنا إلى الأفضل في اتجاه بناء دولة عصرية ديمقراطية صلبة حديثة قوية وراسخة ومتجذرة في بنائها الحضاري والديمقراطي تجذر هذا الشعب في حضارته ، ولقضينا على كثير من أخطاء الاستبداد الوظيفي الذي لا تقل خطورته بين صغار القيادات عن أخطاره بين كبارهم ، ففي الوقت الذي يسعى فيه رأس هرم السلطة في مصر لترسيخ دور المؤسسات ، فإننا جميعًا يجب أن نعمل على تعظيم هذا التوجه ، وعلى إبرازه وترسيخه

ومحاسبة من يحيد عنه ، حتى لا نكتوي باستبدادية بعض صغار الموظفين في ظل دولة تعمل قيادتها السياسية على ترسيخ أسس العدالة الإدارية والنظام المؤسسي ، وتعد ذلك في مقدمة أولوياتها وأحد أهم دعائم فلسفتها وأيدلوجيتها في بناء الدولة الوطنية الديمقراطية العصرية الحديثة ، وأهم من ذلك هو ألا نسمح لسلطات موازية لسلطة الدولة أن تقوم أو حتى تتشكل من جديد ، وبخاصة تلك الكيانات الموازية التي تسعى الجماعات الإرهابية والمتطرفة إلى فرضها على المجتمع ، فهذا هو الخطر الداهم الذي يجب التنبه له والقضاء عليه .

❊ ❊ ❊

الانحياز الإيجابي

مفهوم الانحياز قد يذهب فيه العقل أول ما يذهب إلى المعنى السلبي للانحياز الذي قد يفهم على أنه لون من التبعية أو المجاملة أو المداراة أو حتى المواءمة ، وعدم الانحياز قد يفسر عند البعض بالاستقلال لا التبعية ، بل إن البعض قد يفهم عدم الانحياز على أنه نفض اليد نفضًا كاملا من أي حديث إيجابي عمن يكون بيده مقاليد الأمور على أي مستوى إداري أو تنفيذي أو سلطوي ، بل قد يفهم البعض أن عدم الانحياز يعني فقط إبراز الجوانب السلبية وأن النقد لديه قد ينحسر أو ينحصر في باب إبراز المثالب .

على أن النقد الحقيقي المنصف المتزن لدى المتخصصين المدققين يعني التمييز بين الجيد والرديء ، وأن الإنصاف في النقد يعني أن نقول لمن أحسن أحسنت ونشُدُّ على يديه ونُسانده ، ولمن أساء أو قصر أسأت أو قصرت ، ونأخذ على يديه .

وقد تتجاوز مهمة الناقد ذلك إلى بيان طريق الرشاد والسبيل الأمثل لمعالجة وحل المشكلات وقد تتناول الأمر بالتحليل والتفسير والرصد قصد مساعدة متخذ القرار على اتخاذ القرار المناسب ، وتقديم رؤى متعددة تجعل زاوية النظر والرؤية لدى متخذ القرار أوسع وأصوب وأدق.

ويمكن أن نقسم الانحياز قسمين : الانحياز السلبي وهو ذلك الانحياز الأعمى الذي يعني التبعية المقيتة ، وهو ذلك الانحياز الذي

تحكمه المنفعة الشخصية التي تضرب بالمصلحة العامة عرض الحائط ، وهو ذلك الانحياز للجماعات الهدامة الإرهابية والمتشددة ، التي تكون طاعة الأمير أو المرشد فيها طاعة عمياء ، أو تلك التي تصل بالبشر العاديين لدى بعض الأيدولوجيات إلى درجة عصمة الأنبياء أو ما فوقها ، بحيث إن أحدهم قد يجادلك في نص قرآني أو نبوي صحيح ثابت ولا يسمح لك أن تناقشه أو تحاوره حول كلام شيخه أو أميره أو مرشده ، الانحياز السلبي هو الذي تحكمه مجرد العاطفة دون إعمال للعقل أو فهم للموقف أو تقدير للمصلحة ، وهو الذي يكون الحب والبغض فيه شخصيًّا لا مهنيًّا ولا موضوعيًّا .

أما الانحياز الإيجابي فهو ذلك الانحياز المنهجي المهني الموضوعي، هو ذلك الانحياز الوطني الذي يصب في مصلحة الوطن ويعمل لها ويدور معها حيث دارت ، هو الانحياز للوطن وبكل قوة وحسم وبلا أدنى تردد أو توجس أو تخوف في مواجهة المتربصين ولا سيما في أوقات الشدائد والمحن وشدة التحديات ، وهو ذلك الانحياز الذي يجب أن نميل إليه وأن نفخر به ونجعله وسامًا على صدورنا نشعر معه بالعزة والفخر، الانحياز المطلق للحق حيث كان وكيف دار ، ولمصلحة الوطن، وكل من يعمل لصالح هذا الوطن .

الانحياز الإيجابي هو الانحياز إلى قوى ومؤسسات الوسطية والاعتدال والوطنية في مواجهة الفكر المتطرف والجماعات المتطرفة ودعاة التطرف ، وكشف طبيعتهم وتفنيد أفكارهم وعدم تمكينهم من مقاليد

الأمور السياسية ، أو الإدارية ، أو الفكرية ، أو الثقافية ، أو الدعوية .

وقد أكدت في لقاءاتي المتعددة بنخبة من خيرة شباب مصر فهمًا ووعيًا ووطنية هم شباب البرنامج الرئاسي في مؤتمرهم الأول أننا جميعًا ننحاز إلى الوطن ومصلحة الوطن ، وجزء من انحيازنا لهذا الوطن هو انحيازنا للتمكين للشباب الواعي وتأهيلهم وتدريبهم تدريبًا عاليًا يجعل منهم شركاء في النهوض بالوطن وقادة في الحاضر والمستقبل.

❊ ❊ ❊

العواصم والحدود وبناء الدول

العلاقة بين عواصم الدول وحدودها هي علاقة تكامل لا علاقة صراع ولا ينبغي أن تكون ، إذ لا غنى لأي دولة من أن يكون لها عاصمة هي القلب والمركز ، وأطراف وحدود بمثابة الأجنحة التي لا تعلو الدول ولا ترتفع بدونها ، لكن المركز يستحوذ في كثير من دول العالم على بؤرة الاهتمام ، فالشواهد والواقع المعاش يؤكدان استحواذ المركز عبر التاريخ على أعلى درجات الاهتمام ، غير أن مستوى هذا الاهتمام يختلف بين الدول المتحضرة والدول المتخلفة ، فالدول المتحضرة لا يمكن أن تهمل جزءًا من أطرافها أرضًا أو سكانًا فتتركه هملاً أو فرصة للضياع أو الاهمال أو الاعتداء ، أو حتى مجرد التفكير في الانفلات أو الانفصال ، وقد دخل أحد الشعراء على سيدنا عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) فأنشده قوله :

إن كنت تحفظ ما يليك فإنمـــا   عمال أرضك بالبلاد ذئـــــاب

لن يستجيبوا للذي تدعـــــو له   حتى تجلّد بالسيوف رقـــــاب

على أن تنمية الأطراف والمناطق الحدودية لا تقع على عاتق الحكومات وحدها أو القيادة السياسية وحدها ، إذ إن العناية والاهتمام بهذه الأطراف والعمل على تنميتها مسئولية تضامنية بين جميع مؤسسات الدولة ، سواء المؤسسات الرسمية ، أم منظمات المجتمع المدني ، أم رجال الأعمال ، فالاستثمار ، والتعليم ، والصحة ، والإسكان ، والثقافة ، والأوقاف ، والآثار ، وسائر الوزارات والهيئات ، والجمعيات العاملة في

مجال الخدمات الاجتماعية ، ورجال الأعمال الوطنيون ، كل هؤلاء يجب أن يولوا اهتماما خاصًا بجميع أطراف الدولة وبخاصة الحدودية منها ، وجعل ذلك أولوية واعتباره قضية أمن قومي من جهة ، وقضية تنموية من جهة أخرى ، إذ ينبغي أن نعمل على تحويل كل أطراف الدولة ومناطقها الحدودية إلى مناطق جاذبة لا طاردة ، ففي حالة عدم اهتمام دولة ما بأطرافها يضطر أبناء هذه الأطراف إلى التوجه نحو المركز والتمركز به ، مما يشكل ضغطا غير عادي على المركز وضواحيه، ويخلق كثيرًا من الأحياء العشوائية حوله ، ويسهم في صنع نظام طبقي تنتج عنه مع مرور الزمن أمراض ومشكلات اجتماعية تحتاج إلى حلول غير تقليدية لعلاجها.

أما في ظل اهتمام الدول بالاستثمار في أطرافها ومناطقها الحدودية ، وتوفير الخدمات اللازمة لأبنائها من : الإسكان ، والصحة ، والتعليم ، والثقافة ، وسائر الخدمات التي تطلبها مقومات الحياة المستقرة بأرضهم وموطن نشأتهم ، مع توفر فرص العمل والإنتاج فإن ذلك كله يؤدي إلى ارتباط أبناء هذه المناطق بأرضهم ، وحفاظهم على كل ذرة رمل أو تراب من ثراها الندي ، مع ولاء وانتماء وطني خالص .

وفي حالة توفر عوامل جذب وحوافز للعمل بهذه المناطق والاستثمار الجاد فيها كما يحدث الآن من اهتمام الدولة بمناطق سيناء ومطروح والإسماعيلية الجديدة وحلايب وشلاتين والوادي الجديد ، ومناطق الظهير الصحراوي بصفة عامة ، فإن هذه المناطق ستتحول إلى

مناطق جاذبة، مما يحدث توازنًا كبيرًا في التوزيع الجغرافي، والسكاني، ويوفر حياة كريمة لأبناء هذه المناطق ، ويخفف الضغط على المركز وعلى ما يُقدم به من خدمات لا غنى عنها للمقيمين به ، أو ما تتطلبه طبيعة العواصم ومركز الثقل السياسي والاقتصادي بالعالم كله ، من الرقي بها إلى درجة تجعل منها عامل جذب سياحيّ وإبهار حضاري ودلالة على عظمة الشعوب ورقيها .

* * *

نعمة الأمن والاستقرار

يُعد الأمن نعمة من أهم النعم ، ويأتي في مقدمتها ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً في سربِهِ ، مُعَافًى في جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا) (رواه الترمذي) .

فالأمن من أجل النعم التي امتن الله (عز وجل) بها على عباده ، حيث يقول سبحانه وتعالى ممتنًّا على قريش : {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ}(قريش:١-٤) ، ويقول سبحانه وتعالى ممتنًّا على مكة وأهلها : {أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقا مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}(القصص: ٥٧) ، ويقول تعالى : {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَما آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ}(العنكبوت : ٦٧) ، ويقول سبحانه : {وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}(الأنفال : ٢٦) .

على أن القرآن الكريم يربط بين الأمن والإيمان ، والحفاظ على هذه النعمة وعدم جحودها أو إنكارها أو نكرانها ، أو الخروج على مقتضيات الحفاظ عليها ، فيقول الحق سبحانه :{الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ}(الأنعام:٨٢) ، ويقول سبحانه : { لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ

سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ * وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ}(سبأ : ١٥–١٨)، ويقول سبحانه :{وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ}(النحل :١١٢).

ولنا في الحاضر من حولنا عبرة ومتعظ بحال تلك الدول التي سقطت في براثن الفوضى والتفكك ، والتشرذم والتمزق ، ما بين لاجئ متعرض لمخاطر لا تحصى ولا تعد ، ومشرد ، ومعتقل ، ومحاصر ، أو شهيد، أو قتيل ، أو مصاب ، أو مقعد ، أو مشوه ، أو عاجز ، حيث رأينا الإرهابيين المجرمين يستغلون حالة الفوضى والتفكك هذه ويتجاوزون كل حدود الإنسانية في الفتك والتنكيل بالبشر من الحرق والسحل ، والسبي والاغتصاب ، والاستعباد ، وحمل الناس على حفر قبورهم بأيديهم ، مما يدعونا وبقوة إلى الحفاظ على ما أنعم الله (عز وجل) به علينا من أمن وأمان واستقرار .

على أن الحفاظ على هذه النعمة يحتاج منا إلى أمرين ، أحدهما : شكر الله (عز وجل) عليها ، حيث يقول الحق سبحانه : {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}(إبراهيم: ٧) ، والشكر ليس في المال فحسب ، وإنما في سائر النعم .

الأمر الآخر : هو وحدة الصف ، وإدراك حجم التحديات التي

تواجهنا ، والأخذ بقوة على أيدي دعاة القتل والاغتيال وسفك الدماء والفوضى والتخريب ، الداعين إلى التطاول على رجال الجيش والشرطة وعلى مرافق الدولة ومؤسساتها ، مع تأكيدنا أن كل من يسلك هذه المسالك الخبيثة ينبغي أن يحاكم بتهمة الخيانة الوطنية العظمى ، لأن هؤلاء الخونة والعملاء هم الأخطر على أمن الوطن واستقراره ، وهم لسان حال أعدائه ، ويدهم الطولي في الإفساد والتخريب ، فهم يأكلون طعامنا ، ويلبسون ثيابنا ، ويطعنوننا في ظهورنا ، وهم عيون أعدائنا ، إذ لا يمكن للإرهاب أن يخترق أيّ دولة أو مجتمع إلا في ظل حواضن تستقبله وتأويه ، وتوفر له المناخ الملائم لإثارة الفوضى .

كما يجب مراقبة التمويل الأجنبي ، وعلامات الثراء الفاحش التي تظهر فجأة على بعض المأجورين الذين يبيعون دينهم ووطنهم وأهليهم وآدميتهم وإنسانيتهم بثمن بخس ، ظانين أنهم يمكن أن يخدعوا المجتمع ويفلتوا بجرائمهم {يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ}(النساء :١٤٢).

وإذا استطاع بعضهم أن يخدع بعض الناس بعض الوقت ، فمن المستحيل أن يخدع أحد كل الناس كل الوقت ، ولا ينس أحد أنه سيقف يومًا بين يدي من لا يغفل ولا ينام ، حيث يقول الحق سبحانه : {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ}(الصافات :٢٤) ، ويقول سبحانه :{وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء} (إبراهيم :٤٢-٤٣) ، ويقول سبحانه : { الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ }(غافر :١٧) .

حماية المجتمع من التطرف

لا شك أن التطرف يشكل خطرًا على الهوية الدينية ، وعلى الهوية الوطنية ، فمن ناحية الهوية الدينية ؛ فإن الجماعات الضالة المتطرفة قد حاولت اختطاف الخطاب الديني وتوظيفه أيدلوجيًّا لخدمة مطامعها ومطامع من يمولها ويستخدمها لهدم دول المنطقة وتفتيت كيانها وتمزيق بنيانها ، ذلك أن أي أحد يسمع أن دينًا أو جماعةً تستبيح الذبح والحرق والتنكيل بالبشر ؛ لا يسعه إلا أن يكفر بهذه الجماعة وبما تدعيه من دين افتراء على الله ورسله وسائر كتبه المنزلة ، وأما من جهة الوطن فهذه الجماعات المارقة لا تؤمن بوطن ولا بدولة وطنية ، بل إنها صُنِعَت لهدم الأوطان ، وليس بعيدًا عن أذهاننا تطاول قيادات الجماعة الإرهابية في حق مصر وغيرها من الأوطان التي لا يرونها سوى حفنة من التراب ، فالأرض في منظورهم لا تعد عرضا ولا تمثل شاغلا ولا همًّا ، في حين أن الإسلام أوجب الدفاع عن الأوطان وافتداءها بكل ما يملك بنوها من نفس ومال.

وكان السؤال الأول ، هل نحن في حاجة إلى تفكيك الفكر المتطرف ، أم إلى تفكيك الجماعات المتطرفة ؟ والجواب الذي لا خلاف عليه هو أننا في حاجة إلى تفكيك الفكر المتطرف والجماعات المتطرفة معًا ، غير أن تفكيك الفكر يأتي في المقدمة ، ذلك أنك قد تفكك جماعة إرهابية أو متطرفة فتخرج عليك جماعة أخرى أعتى وأشد ، غير أننا عندما ننجح في تفكيك الفكر المتطرف وكشف زيفه

وزيغه وفساده وإفساده وأباطيله ، فإننا نكون أتينا على المشكلة من جذورها.

وفي سبيل ذلك لا بد أن نكشف وأن نعري هذه الجماعات المتطرفة ، وأن نبيّن عمالتها وخيانتها لدينها وأمتها ، وأن نبرز شهادات من استطاعوا الإفلات من جحيم هذه الجماعات الإرهابية الضالة ، وأن ما يعدون به الشباب كذبًا وزورًا من الحياة الرغدة هو محض كذب لا وجود له على أرض الواقع ، فمن يلتحق بهم مصيرهم التفخيخ والتفجير وإن فكّر مجرد تفكير في الهروب من جحيم هذه الجماعات كان جزاؤه الذبح أو الحرق أو الموت سحلا .

كما يجب تفنيد أباطيلهم في استحلال الدماء والأموال والأعراض ، والحكم على الناس بالكفر حتى يسوغوا لأنفسهم قتلهم ، واستباحة نسائهم وأموالهم ، وهو ما حذر منه الحق سبحانه وتعالى ، حيث يقول : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا }(النساء : ٩٤) ، ذلك أن هذه الجماعات الضالة تجعل من تكفير المجتمع وسيلة لاستحلال الدماء والأموال والأعراض التي يسعون لاستباحتها لإشباع رغباتهم الدنيئة ، وفي هذا نؤكد أن تكفير المعيّن أي الحكم على شخص بالكفر أو الردّة لا يثبت إلا بحكم قضائي نهائي وبات لما يترتب على الحكم بالكفر من أمور خطيرة .

وكذلك دعوتهم الضالة إلى الجهاد ، مع أن ما يقومون به هو بغي وعدوان لا علاقة له بالجهاد ، وليس من الجهاد في شيء .

ومن ثمة يجب أن نبين أن الجهاد في سبيل الله (عز وجل) أوسع من أن يكون قتالا ، فهناك جهاد النفس بحملها على الطاعة وكفها عن المعصية ، والتزامها مكارم الأخلاق من الصدق والأمانة والوفاء بالعهد وسائر الأخلاق الكريمة .

أما الجهاد الذي هو بمعنى القتال فإنما شُرّع للدفاع عن الوطن ، عن الدول أن تستباح ، وليس لآحاد الناس أو لحزب أو لجماعة أو لفصيل أو لقبيلة أن يعلن هذا الجهاد ، إنما هو حق لولي الأمر وفق من أناط به دستور كل دولة وأعطاه الحق في إعلان حالة الحرب والسلم ، سواء أعطاه الدستور لرئيس الدولة ، أم لمجلس أمنها القومي ، أم للرئيس بعد أخذ رأي برلمانها ، المهم أن قضية إعلان حالة الحرب ليست ملكا للأفراد أو الجماعات ، وإلا أصبح الأمر فوضى لا دولة ، وعدنا إلى حياة الجاهلية ، حيث يقول الشاعر :

لا يَصلُحُ الناسُ فَوضى لا سَراةَ لَهُم   وَلا سَراةَ إِذا جُهّالُهُم سادوا

والخلاصة ما أحوجنا إلى الفكر المستنير ، والفهم الصحيح للدين ، وتصحيح المفاهيم الخاطئة ، واسترداد الخطاب الديني ممن حاولوا اختطافه ، وكف وغل يد المتطرفين عن الدعوة والفتوى ، وإلى أن نواجه الجهل بالعلم ، والظلمات بالنور ، والباطل بالحق ، والفساد والتخريب بمزيد من البناء والتعمير ، وأن نعمل على ترسيخ الولاء

للأوطان من جهة ، وترسيخ أسس المواطنة وفقه العيش المشترك على أسس إنسانية خالصة من جهة أخرى ، وأن نسعى معا وجميعًا لما فيه أمن وسلام الإنسانية جمعاء ، وأن ندرك أن العالم كله في سفينة واحدة ، ولن ينجو منه أحد دون الآخر ، وأن أي خرق في السفينة يمكن أن يهلك أهلها جميعا ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا : كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِن الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا) (رواه البخاري) .

* * *

المشتركات الإنسانية في الشرائع السماوية

إن جانبًا كبيرًا من العنف الذي شهدناه على الساحة المصرية ونشاهده على الساحة الدولية إنما يرجع إلى فقدان أو ضعف الحس الإنساني ، واختلال منظومة القيم ، مما يجعلنا في حاجة ملحة إلى التأكيد على الاهتمام بمنظومة القيم الإنسانية ، والتنوع الثقافي والحضاري ، والانطلاق من خلال المشترك الإنساني بين البشر جميعًا .

فقد كرم الحق سبحانه الإنسان على إطلاق إنسانيته دون تفرقة بين بني البشر ، فقال (عز وجل) : {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ}(الإسراء: ٧٠) ، فالإنسان بنيان الرب من هدمه هدم بنيانه عز وجل .

كما أجمعت الشرائع السماوية على جملة كبيرة من القيم والمبادئ الإنسانية ، من أهمها : حفظ النفس البشرية ، قال تعالى: { أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا }(المائدة : ٣٢) .

ولهذا قدّر نبينا (صلى الله عليه وسلم) للنفس الإنسانية حرمتها ، فلما مرت عليه جنازة يهودي وقف لها ، فقيل له : إنها جنازة يهودي ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (أليست نفسًا ؟!) (رواه البخاري).

ومن القيم التي أجمعت عليها الشرائع السماوية كلها : العدل، والتسامح ، والوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة، والصدق في الأقوال والأفعال، وبر الوالدين ، وحرمة مال اليتيم ، ومراعاة حق الجوار ، والكلمة الطيبة، وذلك لأن مصدر التشريع السماوي واحد ، ولهذا قال نبينا (صلى الله

عليه وسلم) : (الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ) (رواه أحمد في مسنده) .

فقد تختلف الشرائع في العبادات وطريقة أدائها وفق طبيعة الزمان والمكان ، لكن الأخلاق والقيم الإنسانية التي تكون أساسًا للتعايش لم تختلف في أي شريعة من الشرائع ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ الأُولى: إِذا لَمْ تَسْتَحِ فاصْنَعْ ما شِئْتَ) (رواه البخاري).

وأروني أي شريعة من الشرائع أباحت قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، أو أباحت عقوق الوالدين ، أو أكل السحت ، أو أكل مال اليتيم، أو أكل حق العامل أو الأجير .

وأروني أي شريعة أباحت الكذب ، أو الغدر ، أو الخيانة ، أو خُلف العهد، أو مقابلة الحسنة بالسيئة .

بل على العكس فإن جميع الشرائع السماوية قد اتفقت وأجمعت على هذه القيم الإنسانية السامية ، من خرج عليها فإنه لم يخرج على مقتضى الأديان فحسب، وإنما يخرج على مقتضى الإنسانية وينسلخ من آدميته ومن الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها .

ولهذا قال ابن عباس (رضي الله عنهما) عن قوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ

تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}(الأنعام :١٥١-١٥٣) : هذه آيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب ، وهى محرمات على بني آدم جميعًا ، وهن أم الكتاب - أي أصله وأساسه - من عمل بهن دخل الجنة ، ومن تركهن دخل النار.

ودِيننا علمنا أن نقول الكلمة الطيبة للناس جميعًا بلا تفرقة ، فقال سبحانه : {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} (البقرة: ٨٣) ، بل نحن مطالبون أن نقول التي هي أحسن ، يقول سبحانه وتعالى : {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}(الإسراء: ٥٣) ، ويقولون : البر شيء هين وجه طلق وقول لين، ويقول الحق سبحانه: { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}(سورة فصلت : ٣٤-٣٥) .

وفى تعاليم سيدنا عيسى عليه السلام "من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر" في دعوة عظيمة للتسامح في كل الشرائع السماوية لكي تعيش البشرية في سلام وصفاء، لا نزاع وشقاق أو عنف وإرهاب .

* * *

صناعــة القـــادة

عند إعداد قيادات المستقبل لا بد من توافر صفات ومقومات ، يأتي في مقدمتها القوة ، والأمانة ، والوطنية ، والثقافة ، والقدرة على التحمل وعلى اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة وفعل ما يجب أن يفعل في الوقت الذي يجب أن يفعل فيه دون توانٍ أو تأخر أو طيش أو تهور ، حيث يقول الشاعر العماني أبو مسلم الرواحي:

لا تعجــل الشيء أمــام وقتــه   ولا تفتــه حيث آن بالـونـــى

وقد لفت القرآن الكريم أنظارنا إلى أهم مقومين من مقومات إعداد القادة واختيارهم ، وهما القوة والأمانة ، أو الحفظ والعلم ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى على لسان ابنة شعيب (عليه السلام) في شأن سيدنا موسى (عليه السلام) : {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ}(القصص: ٢٦) ، ويقول سبحانه على لسان سيدنا يوسف (عليه السلام) في مخاطبة عزيز مصر:{اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ}(يوسف:٥٥) ، فالأمانة وحدها لا تكفي والكفاءة بلا أمانة لا تجدي .

ومن خلال هاتين الصفتين لا بد من توافر صفات ومقومات تفصيلية وفق طبيعة المهمة التي توكل إلى قائد أو مسئول ودرجة المسئولية وحساسية المهام المنوطة بها ، ومن أهمها : التفاني والإخلاص في العمل ، والقدرة على تحمل الضغوط ، والتعامل مع الأزمات وحسن معالجتها ، والرؤية السياسية ، والإلمام بمتطلبات الأمن القومي ، والقدرة

على العمل بروح الجماعة والفريق ، والتنسيق مع سائر الجهات والمؤسسات المتناظرة ، والتميز في مستوى الوعي والثقافة العامة ، فثمة ما يعرف في علم الإدارة بعموم الفهم وخصوصية التكاليف ، ذلك بأن يكون الموظف أو المسئول أو القائد على مستوى عال من الفهم العام لكل جوانب عمله والإلمام بأطرافه ومشكلاته وتحدياته وتداخلاته وتشابكاته مع الجهات الأخرى ، أو الزملاء الآخرين ، وعلى أعلى قدر ممكن من الإدراك الذي قد يصل إلى درجة التفرد وعلى أقل تقدير مستوى التميز في المهمة الموكلة إليه ، كما يجب أن يكون القائد في أي مستوى قيادي على إلمام ووعي كبير بقضايا الأمن القومي ، وتحديات الواقع ، وما تتطلبه ظروف المرحلة التي يمر بها العمل ، أو يمر بها الوطن.

وعلى كل مسئول أن يستحضر دائمًا حديث سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) (رواه البخاري) ، وقوله (صلى الله عليه وسلم) : (مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشَرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا أَتَى اللَّهَ مَغْلُولًا، يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ فَكَّهُ بِرُّهُ أَوْ أَوْبَقَهُ إِثْمُهُ أَوَّلُهَا مَلَامَةٌ، وَأَوْسَطُهَا نَدَامَةٌ وَآخِرُهَا خِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (رواه الإمام أحمد في مسنده) ، وقوله (صلى الله عليه وسلم) : (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ الإِمَامُ الْعَادِلُ ،

وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ) (رواه البخاري).

❊ ❊ ❊

بين الكفاءة والولاء

إذا اجتمعت الكفاءة مع الولاء للوطن ، والولاء للعمل ، والولاء للمهنة ، والولاء للمكان الذي يعمل به الإنسان ، فذاك أمل منشود ، أما إذا كان الولاء لشخص ما ، أو جماعة ما ، أو حزب ما ، هو مناط الاختيار والتقديم على حساب الأمانة أو الكفاية أو الكفاءة فهذا أمر جد خطير ، سواء في مقاييس الشرع ، أم في مقاييس الوطنية ، وهما مرتبطان لا ينفكان ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنِ اسْتَعْمَلَ عَامِلا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ فِيهِمْ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْهُ ، وَأَعْلَم بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، فَقَدْ خَانَ اللَّهَ ، وَرَسُولَهُ ، وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ) (السنن الكبرى للبيهقي) ، على أن الولاية أيا كان شأنها كبيرًا أو صغيرًا تتطلب الأمانة والكفاءة معا ، يقول الحق سبحانه على لسان يوسف (عليه السلام) : {قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ}(يوسف : ٥٥) ، ويقول سبحانه على لسان ابنة شعيب (عليه السلام) في شأن موسى (عليه السلام) :{يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ}(القصص : ٢٦) ، فلا الأمانة وحدها تجدي ، ولا العلم وحده يغني .

ولما سأل أبو ذر الغفاري النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يوليه قال له النبي (صلى الله عليه وسلم) : (يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا) (صحيح مسلم) ، وقد ولَّى النبي (صلى الله عليه وسلم) كلا من خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهما مع حداثة إسلامهم قيادة

الجيش وفيه كبار الصحابة والسابقون في الإسلام ، لما كان يتمتعون به من كفاءة وكفاية وخبرة بفنون الحرب وضروب القتال والنزال .

أما تقديم الولاءات الخاصة فيعيدنا إلى العام الأسود ، عام الأهل والعشير ، وتقديم الولاء لمكتب الإرشاد على سائر الكفاءات ، كما يردنا إلى عقود ساد فيها الفساد الإداري الذي ما زلنا نعاني من آثاره ، حيث كان التقديم للوصوليين ولبعض المنافقين والمتزلفين ، ومن يحسنون طرق الرشوة والمحسوبية والواسطة ، فنقدم غير الأكفاء على الأكفاء ، فكان الظلم والإحباط ، وأصبح هَمُّ غير الأكفاء أن يستروا عوراتهم بإبعاد الأكفاء عن طريقهم من جهة ، وأن يعملوا على استرداد ما دفعوه من أجل الوصول إلى ما وصلوا إليه أضعافا مضاعفة من جهة أخرى .

ولا شك أن هؤلاء الذين يتسلقون على أكتاف الأكفاء بطرق وأساليب غير شرعية ولا قانونية ، لا يعملون إلا على إرضاء من فوقهم ، حتى لوكان ذلك على حساب دينهم وضميرهم أو على حساب مصلحة العمل أو المصلحة الوطنية .

ولا شك أن هؤلاء النفعيين الوصوليين لا يمكن أن ينهضوا لا بوطن ولا بمؤسسة ولا بأمانة ، لأنهم لم يكونوا لها أهلا ، ولن يحرصوا على تصعيد الأكفاء ، بل إن نفوسهم في الغالب ستكون مليئة بالحقد على هؤلاء الأكفاء المتميزين ، وسيكونون حريصين كل الحرص على تصعيد الأضعف الذي يدين لهم بالولاء الكامل ، ولا يمكن له أن يراجعهم ، أو أن يعترض على شيء من تصرفاتهم ، أو ينتقد عملا من أعمالهم .

ولعل من أكبر الأخطاء التي ارتكبتها جماعات الإسلام السياسي هو انخداعها أو خداعها بالمظاهر الشكلية ، وحصر الدين في الشكليات ، واعتبار الالتزام ببعض الشعائر التعبدية هو أهم مقومات القيادة بل أهم شروطها وموجباتها ، فأكثر الناس ولاء للجماعة هو أكثرهم تأهلا لتولي المناصب ، فقد تجد من كان بالأمس لا يكاد يحسن شيئًا في دنيا الناس يتولى أمرًا خطيرًا من مقاليد أمورهم ، مما لا علاقة له به ولا خبرة له فيه، ولعل ما حدث في وزارة الأوقاف المصرية فور تولي عناصر الجماعة الإرهابية لمقاليد السلطة خير شاهد على ذلك ، فقد أتوا بأناس من جهات لا علاقة لها بعمل الأوقاف ولا بإدارتها ولا بفنياتها ليعتلوا أعلى المناصب التنفيذية فيها لمجرد الولاء للجماعة ، ولم يكن الأمر قصرًا على الأوقاف وحدها ، بل عمت الأخونة كثيرًا من أجهزة الدولة ، في سعار مقيت ، وشهوة جامحة للسلطة ، وإقصاء ربما لم يشهد عصرنا الحديث مثله لكل الكفاءات الوطنية المخلصة من خارج أبناء الجماعة، مما عجل بسقوطهم سقوطًا ذريعًا ربما لم يشهد تاريخنا الحديث مثله ، وكشف حقيقتهم للعالم كله ، مما يجعلنا نؤكد أنها نهاية هذه الجماعة التي تأكد للجميع أنها تاجرت بالدين وزايدت به مزايدة رخيصة ، وظلت تخدع الناس زمنا طويلا ، حتى كشف الله (عز وجل) أمرهم ، وعرف القاصي والداني خبث طويتهم ، ولم يعد لهم من موال سوى بقايا النفعيين والمكابرين منهم .

على أننا ينبغي أن نفيد من كل ذلك بالبعد عن الولاءات الزائفة

والكاذبة وغير الشرعية وغير الوطنية ، وأن نسند الأمر إلى الأجدر على القيام به ، لأن هذه المرحلة لا تحتمل غير القوي الأمين ، الحفيظ العليم، الوطني المخلص .

❋ ❋ ❋

الحــق والــواجــب

لا شك أن مبدأ الحق والواجب ، أو الحق مقابل الواجب ، أحد أهم المبادئ العادلة التي تسهم في إصلاح المجتمع ، فهناك الحقوق والواجبات المتبادلة بين الآباء والأبناء ، وبين الأزواج ، وبين الجيران ، وبين الأصدقاء ، وبين الشركاء ، وبين المواطن والدولة ، وبين العمال وأرباب العمل، وبين المعلم والمتعلم .

وقد أشارت بعض النصوص القرآنية والنبوية إلى هذه التبادلية ، وإلى ضرورة الوفاء بالحقوق والواجبات معًا ، حيث يقول الحق سبحانه في العلاقات بين الزوجين : {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ}(البقرة : ٢٢٨) ، ويقول سبحانه في الحديث القدسي : (ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ) (رواه البخاري) .

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (رضي الله عنه) قَالَ : (كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلاَّ مُؤَخِّرَة الرَّحْلِ ، فَقَالَ: يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ . ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. ثُمَّ سَارَ سَاعَةَ ، ثُمَّ قَالَ: (يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ) ، قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ، قَالَ : هَلْ تَدْرِى مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ ؟ قَالَ : قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ، قَالَ: هَلْ

تَدْرِى مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟. قَالَ: قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: (أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ) (متفق عليه).

وعن سيدنا علي (رضي الله عنه) أنه قال في خطبة له خطبها بصفين: " أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ جَعَلَ اَللَّهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا بِوِلاَيَةِ أَمْرِكُمْ ، وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ اَلْحَقِّ مِثْلُ اَلَّذِي لِي عَلَيْكُمْ ، وَاَلْحَقُّ أَوْسَعُ اَلْأَشْيَاءِ فِي اَلتَّوَاصُفِ وَأَضْيَقُهَا فِي اَلتَّنَاصُفِ ، لاَ يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلاَّ جَرَى عَلَيْهِ ، وَلاَ يَجْرِي عَلَيْهِ إِلاَّ جَرَى لَهُ ، وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلاَ يَجْرِيَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصاً لِلَّهِ سُبْحَانَهُ " .

ورأى بعض الناس رجلا مسنًّا يزرع نخلة لا ينتظر أن يجني شيئًا من ثمارها في حياته ، فقيل له : وهل تنتظر أن تدرك جني شيء من ثمارها؟ فقال الرجل : زرع من قبلنا فحصدنا ، ونحن نزرع ليحصد من بعدنا ، " افعل ما شئت كما تدين تدان" .

والقاعدة : أن من أخذ الأجر حاسبه الله على العمل ، وأن العقد شريعة المتعاقدين ، وقد أمرنا رب العزة بالوفاء بالعقود ، فقال سبحانه : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ}(المائدة : ١) ، وحذرنا سبحانه من خيانة الأمانات في العمل أو في غيره ، فقال سبحانه : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} (الأنفال : ٢٧) ، وحثنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) على إتقان العمل ، فقال : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَهُ) (رواه الطبراني).

ودينا قائم على الإتقان ، والإحسان ، ومراقبة الله (عز وجل) في

السر والعلن قبل مراقبة الخلق ، لأن الخلق إن غفلوا عن المراقبة أو المتابعة ، فهناك من لا يغفل ولا تأخذه سنة ولا نوم ، حيث يقول سبحانه: {اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ}(البقرة : ٢٥٥) ، ويقول (عز وجل) :{مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}(المجادلة: ٧) ، ويقول سبحانه : {وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ}(الأنعام: ٥٩) ، ويقول على لسان لقمان (عليه السلام) مخاطبًا ولده : {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ}(لقمان : ١٦) .

فما أحوجنا إلى ترسيخ مبدأ الحق مقابل الواجب في كل مجالات حياتنا وعلاقاتنا ، وبخاصة في مجال العمل ، إذ لا يمكن للحياة ولا العلاقات أن تستقيم من جانب واحد ، فيكون أحد الشقين معتدلا والآخر مائلا ، إنما تستقيم الأمور باستواء الجانبين معا ، والوفاء بالحقوق والواجبات معا ، نؤدي الذي علينا حتى يبارك الله (عز وجل) في الذي لنا .

* * *

على قيثارة الوطنية

لاشك أن المشروعات الكبرى أحد أهم العوامل التي ترسخ الانتماء للوطن ، وتشعر المرء بقيمة الوطن ، وتعزز الولاء له ، غير أن الوطني الصادق هو الذي يشعر بهذا الولاء والانتماء على كل حال وفي كل حال، في الشدة والرخاء ، في السراء والضراء ، في العسر واليسر ، في المكره والمنشط ، إن كبا وطنه كان على استعداد تام لبذل النفس والنفيس حتى يسلم الوطن من كبوته ، ويستعيد مجده وعافيته ، فالوطنية لديه عطاء لهذا الوطن ، وردّ لجميله ، وعشق لترابه وأرضه وسمائه ، لأنه ينظر إليه بعين المحب ، كهذا الذي قيل له ما بلغ بك حب فلانة؟ فقال: بلغ ذلك بي أني أرى الشمس فوق منزلها أجمل منها فوق منزل جيرانها ، فلسماء الوطن ونجومه وكواكبه وأرضه وترابه ومعالمه لمسة تدرك ولا توصف ، فما أن يقلع الإنسان الوطني من وطنه حتى يشعر أن جزءًا منه ليس فيه ، قد تركه مع الوطن قبل أن يغادره أو يرحل منه ، وما أن تطأ قدمه أرض وطنه حتى يشعر أن ذلك الجزء الذي كان منفصلا عنه قد رد إليه .

على مائدة الوطنية تربينا ، من مائها العذب نهلنا ، فقد سافرت كثيرًا ، وأكرمت في سفري أكثر ، غير أني في كل مرة كانت تطأ قدمي أرض وطني عند العودة إليه والارتماء في أحضانه أشعر بأمان خاص وارتباط خاص ، والتصاق الروح بالوطن التصاقًا فريدًا ، فالإنسان بلا وطن جسد بلا روح ، وشيء بلا معنى.

ويزداد هذا الارتباط أكثر وأكثر بمسقط الرأس ، وموطن الصبا ، فهو موضع حنين دائم ، لارتباطه بذكريات الطفولة وريعان الشباب ، وحنو الوالدين والأهل الكرام ، ولا سيما أنه يرتبط ببساطة وطيبة وكرم أهل الريف على ما هم فيه من شظف العيش وصعوبة الأحوال ، غير أن كرم النفوس يفوق بكثير ضيق ذات اليد ، على حد قول الشاعر :

وإذا طلبـت إلى كريـم حاجـة   فلقـاؤه يكفيـــك والتسليـــم

وقول الآخر :

تـهلل قبـــل تسليمـــي عليـــه   وألـــقى مالـه قبـل الوســاد

وقول زهير بن أبي سلمى :

تـــراه إذا ما جـــئته متهـــللا   كأنك تعطيه الذي أنت سائلـــه

لقد نظر نبينا (صلى الله عليه وسلم) إلى مسقط رأسه إلى مكة المكرمة حين خرج منها مهاجرًا إلى المدينة المنورة ، فقال : (عَلِمْتُ أَنَّكِ خَيْرُ أَرْضِ اللهِ ، وَأَحَبُّ الأَرْضِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَوْلاَ أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ) (رواه الإمام أحمد في مسنده).

وظلّ (صلى الله عليه وسلم) يقلب وجهه في السماء رجاء أن يوجهه الله (عز وجل) في صلاته إليها لما لها من أثر ومكانة وارتباط في نفسه (صلى الله عليه وسلم) ، حتى نزل قول الله تعالى : { قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ}(البقرة : ١٤٣) ، غير أن بعض من لا يفهمون لا الدين ولا معاني الوطنية ولا حتى الإنسانية

يصرفون هذه المعاني على غير وجهها ، يتنكرون لماضيهم وحاضرهم ، لأهلهم ووطنهم ، يبيعون كل ذلك بثمن بخس ، في أنانية مقيتة ، لا تلمس فيها وفاء لأهل ولا لوطن ولا لصديق ، ولا حتى لأيام الصبا والشباب .

إننا لفي حاجة ملحة إلى غرس مبادئ وقيم الوطنية من جديد ، في حاجة إلى دراسة تاريخ الوطن ، وأدباء الوطنية ، وما قدمه العظماء من بطولات وتضحيات في سبيله ، فحين نقرأ أدب الجيل الماضي لدى الشعراء العظام الذين عزفوا على قيثارة الوطنية نجد أننا في حاجة ملحة إلى دراسة هذا الشعر دراسة واعية متأنية ، ونعجب أننا لم نعد قادرين على إنتاج مثل هذا الأدب والإبداع الراقي ، الذي تتجذر فيه المشاعر الوطنية في أعماق الأدباء شعرًا ونثرًا ، قصة ورواية ، رجزًا وأنشودة ، وسنذيل كتابنا هذا بمختارات من الشعر الوطني الذي يلهب الحماس ويعمق الانتماء للوطن.

❊ ❊ ❊

العدالة الإدارية

العدل هو العدل ، والظلم هو الظلم ، فالعدل نور لصاحبه في الدنيا والآخرة ، والظلم ظلمات يوم القيامة ، ولذا جعل نبينا (صلى الله عليه وسلم) الإمام العادل في مقدمة السبعة الذين يظلهم الله (عز وجل) في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ ، الإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَرَجُل تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ) (متفق عليه) ، ونهى (صلى الله عليه وسلم) عن الظلم بجميع أنواعه حتى في تحصيل الزكاة، فقال (صلى الله عليه وسلم) لسيدنا معاذ بن جبل (رضي الله عنه) حين بعثه إلى اليمن : (فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ) (رواه البخاري).

إنّ العدل ميزان الله الّذي وضعه للخلق، ونصبه للحقّ ، فلا تخالفه في ميزانه ، ولا تعارضه في سلطانه.

على أن هذا العدل الذي ننشده ليس مسئولية رئيس الدولة وحده ، ولا السلطة الأعلى في أي مؤسسة وحدها ، فإن المسئولية في تحقيق العدالة تقع على كل من ولاه الله أمر مجموعة من الناس في أي مجال من المجالات (كلُّكم راعٍ، وكلُّكُم مسئولٌ عنْ رَعِيَّتِهِ) ، فمدير المدرسة ،

إلى مدير الإدارة ، إلى مدير المديرية ، إلى وكيل الوزارة ، إلى رئيس القطاع ، كل في مجاله وميدانه مسئول عن تحقيق العدالة بين مرءوسيه وبين المستفيدين من الخدمة التي تقدمها المؤسسة ، وكذلك الحال في القسم ، والكلية ، والجامعة ، وكذلك الأمر بالوحدة الصحية ، فالمستشفى، فالإدارة الطبية ، فالمديرية ، فالقطاع الطبي ، وكذلك الحال في الزراعة، والأوقاف ، والإسكان ، والكهرباء ، وسائر الوحدات المحلية ، والخدمية ، والإدارية .

إن تحقيق العدل الإداري بين الموظفين ، وتحقيق العدل في تقديم الخدمات ، وفي التعيينات ، وفي الترقيات ، وفي السفر ، وفي الإيفاد والبعثات ، ووضع ضوابط واضحة وحاسمة وصارمة وشفافة ودقيقة أمر في غاية الأهمية ، ويسهم في تحقق الرضا المجتمعي ، وقوة الإيمان بالدولة ، ويعمق الولاء والانتماء لها ، في حين أن الإقصاء الإداري بلا سبب حقيقي واضح ومعلوم يؤدي إلى السخط والاحتقان ، أما الظلم فهو محض ظلمات ، حيث يقول الحق سبحانه : {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ}(إبراهيم: ٤٢)، ويقول سبحانه : {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولا }(الفرقان : ٢٦-٢٨).

ونستطيع أن نضرب أنموذجًا بما حققناه في مسابقة الأوقاف المصرية

في جميع مسابقات الإيفاد والابتعاث ومسابقات الأئمة والعمال من مقاييس واضحة وشفافة ومعلنة معتمدة على ضوابط محددة وواضحة ، بحيث نستطيع أن نؤكد ومن خلال التجربة أن إماما واحدًا لم يُقْبل بأي درجة من درجات المجاملة ، أو المحسوبية ، أو دون استحقاق ، ومن كانت لديه حالة واحدة فليشر لنا إليها ، ويقول: هذا الإمام تم قبوله دون استحقاق ، على أننا لا نذكر ذلك مباهاة، فهذا واجبنا ، وهذا هو الأصل ، وهو ما ينبغي أن نفعله ، وهو ما لو حدنا عنه لكنا مقصرين في واجبنا ، وفي الأمانة التي تحملناها ، وفي القسم الذي أقسمناه ، غير أني أذكر ذلك الأنموذج لأمرين: الأول هو أننا قادرون على أن نحقق العدالة الإدارية والاجتماعية والمجتمعية متى توفرت الإرادة لدينا ، وأن هذا الأمر ليس مستحيلا .

الأمر الآخر: هو مدى حالة الرضا العام الذي يحدث عند تحقيق العدالة ، حيث سمع بعض زملائنا من أساتذة الجامعة المراقبين على الامتحانات من يقول : حتى لو لم ننجح فنحن مطمئنون أنه لن ينجح إلا من يستحق ومن هو أفضل منا ، وأختم بهذه الرسالة التي وصلتني من أحد المتقدمين للمسابقة ، حيث أرسلها على بريدي الخاص يقول فيها : " لقد صار عند الجميع قناعة أنه لا نجاح إلا لمن يستحق وبجدارة ، وباختصار كان المتقدمون للمسابقات قديما يبحثون عن واسطة أو رشوة، أما اليوم فيبحثون عن المصحف والكتاب والمذكرة " .

* * *

السلطة في منظور الجماعات المتطرفة

إن السلطة قد صارت في منظور الجماعات المتطرفة وأيدولوجياتها غاية لا وسيلة ، ويتمحور فكر هذه الجماعات حول معنى واحد ربما لا ثاني له إما أن تحكم وإما أن تخرب لتسقط أنظمة الحكم ، وفي سبيل ذلك كل شيء لديها مباح ، فكل ما يمكن أن يسهم في تحقيق هذه الغاية لهم هو في أيدلوجياتهم سبيل من سبل التمكين التي يجب الأخذ بها ، حتى لو كان ما سيؤدي إليه ذلك إنما هو سفك الدماء أو ترويع الآمنين أو إسقاط الدول ، أو تفكيكها ، أو تفتيتها ، أو تدميرها ، أو تعريض وجودها من أساسه للخطر والمخاطر ، لذا لا يتوقع من عناصر هذه الجماعات أي خير لأوطانهم ، بل إنهم وبال وشر أينما حلوا أو حتى ارتحلوا ، لأن الشر يرحل معهم ويرتحل بارتحالهم ، وهم على الجملة لا يؤمنون إلا بأنفسهم ، لا يؤمنون بوطن ولا بدولة وطنية ، فهم على استعداد للتحالف مع العدو ، مع الصهيونية العالمية ، مع الشيطان نفسه، مع كل من يوهمهم بمساعدتهم على الوصول إلى السلطة وتحقيق ما يتمنونه من ورائها ، وهم لا يعتبرون ذلك لا عمالة ولا خيانة ، إنما يعتبرونه تحالفات وقتية أو استراتيجية طبيعية طالما أنها تصل بهم إلى مرادهم في تحقيق السلطة التي لا يعون أي شيء عن مقوماتها أو متطلباتها سوى أنها ستحقق لهم ما يطمحون إليه من أمر دنياهم مغطى بما يوهمون به العامة والدهماء من أنهم إنما يعملون لأمر دينهم ، والأديان براء من كل ذلك ، وأبعد ما تكون عن هذه العمالات

والخيانات وهذا التفكير الشاذ المنحرف .

وفي سبيل الوصول إلى مآربهم يتذرعون بذرائع منها أن بعض الحكام لا يحكمون بشرع الله ، على أنك عندما تناقش عناصر هذه الجماعات عن مفهوم شرع الله تجدهم خاويّ الوفاض، وقد بينا ذلك واضحًا جليًا في كتابي: " مفاهيم يجب أن تصحح " و " ضلالات الإرهابيين وتفنيدها " ، وأكدنا أن الالتزام بما أنزل الله (عز وجل) من شرع لا يمنع احتكام البشر إلى قوانين يضعونها في إطار مبادئ التشريع العامة وقواعده الكلية ، وفقًا لتغير الزمان والمكان ، ولا يكون الاحتكام لتلك التشريعات الوضعية مخالفًا لشرع الله ما دام أنه يحقق المصالح العامة للدول والشعوب والأفراد والمجتمعات ولا يحل حرامًا أو يحرم حلالا أو يتناقض مع ثوابت الشرع أو ينال منها .

وأكدنا أن الإسلام لم يضع قالبًا جامدًا صامتًا محددًا لنظام الحكم لا يمكن الخروج عنه ، وإنما وضع أسسًا ومعايير متى تحققت كان الحكم رشيدًا يقره الإسلام ، ومتى اختلت أصاب الحكم من الخلل والاضطراب بمقدار اختلالها ، ولعل العنوان الأهم الأبرز لنظام أي حكم رشيد هو مدى تحقيقه لمصالح البلاد والعباد ، وعلى أقل تقدير مدى عمله لذلك وسعيه إليه ، فأي حكم يسعى إلى تحقيق مصالح البلاد والعباد في ضوء معاني العدل والمساواة والحرية المنضبطة بعيدًا عن الفوضى والمحسوبية وتقديم الولاء على الكفاءة فهو حكم رشيد معتبر .

أما جملة الأحاديث التي تتحـدث عن الخـلافة والبيعـة فيمكـن أن

تحمل في جملتها في ضوء معطيات عصرنا الحاضر على ضرورة إقامة نظام حكم عادل رشيد له رئيس ومؤسسات ، يعمل على تحقيق العدل بين الناس ، وتحقيق مصالح البلاد والعباد ، ويستند إلى الشورى والإفادة من الكفاءات وأهل الخبرة والاختصاص ، بحيث لا يترك الناس فوضى لا سراة لهم ، ولا إشكال بعد ذلك في الأسماء والمسميات طالما أنها تحقق الأهداف والغايات التي يسعى الإسلام لتحقيقها بين الناس جميعًا بما يحقق صالح دينهم ودنياهم .

على أن أهم ما نحذر منه هو ما تنطوي عليه هذه الجماعات من حقد على المجتمع وتربص به وعمل على الإيقاع به بشتى الطرق سواء بالتخريب المباشر أم بالتعويق والتعطيل والتشويه وقلب الحقائق ، ولهم من أساليب المكر مالا يمكن أن يفكر فيه سوى جماعات الهدم ومنزوعي الوطنية ، لدرجة أن بعضهم أيا كانت مهنته وكان أمام منتج وطني وآخر غير وطني فإنه يفضل غير الوطني لتهوي صروح الصناعة الوطنية ، من باب أن هذا يؤدي إلى إضعاف الدولة وسقوطها وعدم تمكينها ، خابوا وخسروا {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}(الأنفال : ٣٠) .

كما أننا نحذر من حملات التشويه وقلب الحقائق من خلال المواقع الإلكترونية وبعض الوسائل الإعلامية التي تتسلل عبرها هذه العناصر محترفة الكذب والتدليس ، وعلينا أن نتثبت ونتبين حقائق الأخبار حتى لا نقع في شراك ما تريده هذه الجماعات من فوضى ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ

بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} (الحجرات : ٦) ، ويقول سبحانه:{وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} (يوسف : ٢١) .

❊ ❊ ❊

سيناء في القرآن الكريم

تحدث القرآن الكريم عن سيناء حديثًا يدعو للتأمل ، حديثًا يؤكد على أهميتها ومكانتها الدينية والتاريخية ، حديثًا يجعلنا نفكر مرات ومرات في ضرورة الاهتمام بها ، وتنميتها ، واستثمار مواردها الطبيعية ، ومعالمها السياحية : الدينية ، والطبيعية ، والعلاجية .

لقد أقسم الحق (سبحانه وتعالى) في كتابه العزيز بطور سيناء في قوله تعالى : { وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ} (الطور : ١ – ٥) ، مقدما القسم بالطور على ما سواه من الأمور الأخرى المقسم بها مع ما لها من مكانة أو قدسية، بل إنه خصه بتسمية السورة كلها باسمه " سورة الطور" .

ويقسم به الحق سبحانه صراحة محددًا ومخصصًا في كتابه العزيز في سورة " التين" ، حيث يقول عز وجل : { وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} (التين : ١–٤) ، مقدمًا القسم بطور سنين على القسم بالبلد الأمين مع ما لهذا البلد الأمين من قداسة ومكانة .

كما أشار القرآن الكريم إلى بعض ما بسيناء من الخيرات والبركات ، حيث يقول سبحانه :{وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ}(المؤمنون:٢٠)، وفي هذه الشجرة كان نبينا (صلى الله عليه وسلم) يقول : (كلوا الزَّيْتَ ، وَادَّهِنُوا بِهِ ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ) (رواه الترمذي في سننه) .

وبها البقعة المباركة التي عبر عنها القرآن الكريم في قوله تعالى في ثنايا الحديث عن سيدنا موسى (عليه السلام) : {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}(القصص : ٣٠) ، وبها الوادي المقدس طوى الذي عبر عنه الحق سبحانه في كتابه العزيز في خطابه لموسى (عليه السلام) : {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي يَا مُوسَى* إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى} (طه : ١١ ، ١٢) .

إن هذه المكانة التي خص بها الله (عز وجل) سيناء لتستحق منا جميعا أن نجعلها في قلوبنا ، وأن نحميها ونفديها بكل ما نملك .

ولا شك أن قواتنا المسلحة الباسلة تحمل ذلك بشجاعة فائقة على عاتقها ، وقد قدَّمت وما زالت تقدم تضحيات غالية من دماء أبنائها في سبيل الوطن بصفة عامة ، وفي سبيل الحفاظ على سيناء وتطهيرها من العناصر الإرهابية والإجرامية بصفة خاصة ، وهو ما يستحق التحية والتقدير من جهة ، والاصطفاف بقوة خلفها وتقديم كل الدعم اللازم لها من جهة أخرى ، سواء أكان هذا الدعم ماديًا أم معنويًّا .

إن سيناء مدينة السلام وستظل بإذن الله تعالى ، فهي في قلب وعقل كل مصري ووطني مخلص ، وإن المحاولات البائسة لأعداء الإنسانية لن تثنينا عن تعمير سيناء وتنميتها والحفاظ على كل حبة رمل من ثراها العطر ، مؤكدين أن الشعب المصري مُنجب وولاد ، ولن تزيده المحن إلا قوة وصلابة وعزيمة وإصرارًا وتمسكًا بأرضه وعرضه ، مع حرص

منقطع النظير على مواجهة الإرهاب واجتثاثه من جذوره .

وهنا يطيب لي أن أشيد بالسادة الأئمة الذين تتوالى طلباتهم للانتقال إلى أرض سيناء الغالية للعمل بها في مواجهة قوى التطرف ، كما أشيد بدور من يقومون بالقوافل الدعوية ، سواء تلك القوافل الداخلية لعلماء وأئمة الأوقاف بمحافظتي شمال وجنوب سيناء ، أم القوافل العامة التي تُسيّرها الوزارة إلى سيناء بصورة شبه دورية .

❋ ❋ ❋

معا لمجتمع نظيف متحضر

النظافة سلوك متحضر ، بل هي عنوان الحضارة ، ولا يمكن لشعب يمتلك حضارتين عظيمتين من أعظم الحضارات التي عرفها التاريخ الإنساني أن يهمل هذا السلوك الحضاري ، فنحن أبناء حضارة تضرب في جذور التاريخ وأعماقه لأكثر من سبعة آلاف عام ، وحضارة أخرى هي حضارتنا الإسلامية الراقية ، وقد امتزجتا معًا لتصنعا نسقًا فريدًا مميزًا للشخصية المصرية .

وهذه الحضارة الراقية تدعو إلى الأناقة والجمال ، والبعد عن كل ما يؤذي وينفر ولا يقره الذوق ولا الطبع السليم ، فقد امتدح الحق سبحانه وتعالى أهل مسجد قباء لحرصهم على الطهارة والنظافة ، فقال سبحانه : { فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ}(التوبة : ١٠٨) ، وأمرنا سبحانه أن نأخذ زينتنا عند كل مسجد ، فقال عز وجل : {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ}(الأعراف : ٣١) ، وأمرنا أن نطهر وننظف أجسادنا وثيابنا ، فقال سبحانه : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا }(المائدة : ٦) ، وقال (سبحانه وتعالى) مخاطبًا نبينه (صلى الله عليه وسلم) : {يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ }(المدثر : ١-٤) ، وقد بيّن رسولنا محمد (صلى الله عليه وسلم) أن الطهور نصف الإيمان أي نصف الدين ، فقال (عليه الصلاة والسلام) : (الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ) (رواه

الإمام مسلم) ، بل إن الإسلام قد جعل الطهارة والنظافة الكاملة للجسد والثوب والمكان شرطًا لقبول أهم عبادة في حياة المسلم والركن العملي الأول في الإسلام بعد الشهادتين ، وهي الصلاة ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْبَلُ صَلَاةً بِغَيْرِ طُهُورٍ ، وَلَا صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ) (سنن النسائي) ، بل أبعد من ذلك فإن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد أكد في حديثه الصحيح أن عدم الطهارة من البول وحسن الاستبراء منه كان سببًا لعذاب رجل في قبره ، وذلك حينما مر (صلى الله عليه وسلم) بِقَبْرَيْنِ ، فَقَالَ : (إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ، وأَمَّا الآخَر فَكَانَ لا يَسْتبرِئُ مِنَ الْبَوْلِ) (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

ونهى ديننا الحنيف عن كل ما يلوث الماء أو المكان أو يعكر على الناس صفو حياتهم أو يسبب لهم الأذى والاشمئزاز ، فنهى عن التبول في الماء ، أو في الظل ، أو في طريق الناس ، أو في الأماكن العامة ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (اتَّقُوا اللاعِنَيْنِ ، قَالُوا : وَمَا اللاعِنَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ الناس وَفِي ظِلِّهِمْ) (سنن أبي داود).

كما نهى الإسلام أن يبول الإنسان في مستحمه أي المكان الذي يقوم بالاستحمام فيه ، سواء أكان نهرًا أم بحرًا أم حمام سباحة ، أو أن يتبول في اتجاه الريح ، ووضع لذلك آدابًا عظيمة فصلتها كتب الفقه في أبواب الطهارة .

ومن يعدد الاغتسالات الواجبة كالغسل عند البراءة من الحيض ، أو الاستحاضة ، أو النفاس ، أو بعد الجماع ، أو عند نزول المني ، أو الاغتسالات المسنونة كغسل الجمعة عند من قال بأنه سنة وهو قول الجمهور ، وإن كان بعض الفقهاء قد ذهب إلى القول بوجوبه ، وغسل العيدين ، وغسل من غسل الميت ، والغسل لدخول مكة ، وغير ذلك من الاغتسالات المسنونة المتعددة يدرك مدى عناية الإسلام بالنظافة ، بل أبعد من هذا فقد حث الإسلام على الجمال والتحلي به ، فعندما قال نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ) ، فقال رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ) (رواه الإمام مسلم) .

وسن الإسلام السواك لطهارة الفم ، ودعا إلى غسل باطن أصابع اليدين والقدمين عند كل وضوء فيما يعرف بتخليل أصابع اليدين والرجلين ، وجعل إسباغ الوضوء أي إكماله وإتمامه على المكاره وفي شدة البرد ماحيًا للسيئات مضاعفًا للحسنات ، فقال (صلى الله عليه وسلم): (أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا ، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ)(رواه الإمام مسلم)، وقد جعل الإسلام العمل على نظافة الطرقات ورفع الأذى عنها وعدم طرحه فيها شعبة من شعب الإيمان ، فقال (صلى الله عليه وسلم) :

(الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ) (متفق عليه) ، وهذا الحديث يعطي إماطة الأذى عن الطريق مكانة عظيمة بإدخال ذلك في شعب الإيمان والنص عليه صراحة ، ويؤكد ذلك أن رجلا سأل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن عمل يدخله الجنة ، فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم) : (أَمِطْ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ) (رواه البخاري في الأدب المفرد) ، وفي حديث آخر : (إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ) (رواه الإمام مسلم) .

وفي كل ذلك ما يؤكد أن حضارتنا تدعو إلى كل مظاهر النظافة والطهارة والجمال ، وتنهى عن كل ألوان النجاسة والقبح والأذى ، مما يتطلب منا أن نلتفت وبقوة إلى أهمية النظافة في حياتنا حتى لا نؤذي أنفسنا أو نؤذي غيرنا ، فإن لم نقم بالإسهام في نظافة نيلنا وبيئتنا ومجتمعنا ومحيطنا ، فعلى أقل تقدير لا نكون سببًا في أذى الناس وأذى أنفسنا ، سواء بإلقاء القمامة أو المخلفات في الطرق أو الأماكن العامة ، أم بصرف مخلفاتنا من الصرف الصحي أو الصناعي على نيلنا العذب ، أو أن نلوثه بإلقاء القمامة أو المخلفات فيه ، أو أن نشوه جماله بإلقاء المخلفات على ضفافه وشواطئه .

فعلى كل واحد منا أن يعمل على نظافة جسده ، وثوبه ، ومكانه ومدرسته ، ومكان عمله ، وأن يسهم في نظافة مجتمعه ، بأن يعز الأذى عن الطريق ، ويسهم قدر استطاعته وأقصى طاقته في أن نكون مجتمعًا راقيا نظيفا متحضرًا .

على أن الأمم المتحضرة يمكن أن تحول القمامة ثروة بتنظيم جمعها وإعادة تدويرها ، فهل نحن جادون في ذلك ؟ وهل نحن قادرون عليه؟ بكل تأكيد نعم ، على أن نتحول من التنظير إلى التطبيق ، وعلى أن يبدأ كل واحد منا بنفسه ، وليكن شعارنا : " **معا لمجتمع نظيف متحضر** ".

* * *

المال والإعلام

المال والإعلام من أهم ركائز القوة في بناء المجتمعات والدول ، فالمال عصب الحياة وقوامها ، وأحد أهم ركائز القوة فيها ، فإعداد الجيوش يحتاج إلى مال واقتصاد قوي ، وتوفير الأمن للمجتمعات يحتاج إلى اقتصاد قوي ، والتعليم الجيد يحتاج إلى اقتصاد قوي ، وتوفير الخدمات الصحية المتميزة يحتاج إلى اقتصاد ، وكذلك توفير المسكن الملائم ، والبنية التحتية من مياه وكهرباء وطرق وخلافه.

ومن ثمة فإن القوة الاقتصادية في عالم اليوم لا تقل أهمية عن القوة العسكرية ، فكما أن الاقتصاد في حاجة إلى قوة تحميه ، فإن القوة العسكرية تتطلب اقتصادًا قويًّا لبنائها واستمراريتها وتطويرها وتحديثها ، لذا حث الإسلام على العمل والإنتاج وبذل الجهد ، حيث يقول الحق سبحانه:{فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}(الملك : ١٥) ، ويقول سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (الجمعة : ٩) ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ) (رواه البخاري) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَليغرسها) (رواه الإمام البخاري في الأدب المفرد) ، ولما رأى (صلى الله عليه وسلم) أحد الناس يسأل الصدقة قال له (عليه الصلاة

والسلام) : (أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ ؟ قَالَ : بَلَى ، حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ ، وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ ، قَالَ : ائْتِنِي بِهِمَا ، قَالَ : فَأَتَاهُ بِهِمَا ، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) بِيَدِهِ ، وَقَالَ : مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ؟ قَالَ رَجُلٌ : أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ ، قَالَ : مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ ، أَوْ ثَلاَثًا ، قَالَ رَجُلٌ : أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ ، وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الأَنْصَارِيَّ ، وَقَالَ : اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ ، وَاشْتَرِ بِالآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ ، فَأَتَاهُ بِهِ ، فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) عُودًا بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ ، وَلاَ أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ ، فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا ، وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَصْلُحُ إِلاَّ لِثَلاَثَةٍ : لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ ، أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ) (رواه أبو داود في سننه).

أما الإعلام فإلى جانب كونه صناعة فإن له دورًا لا يمكن إغفاله سواء في بناء الدول ودعم وتحفيز اقتصادها ، أم في تعميق الانتماء الوطني لدى أبنائها ، أم في اتخاذه وسيلة لهدم الدول أو إفشالها أو إضعافها وزلزلة كياناتها ، فالإعلام الوطني يبني ، والإعلام العميل يهدم ، فإذا امتلكت الدولة اقتصادًا قويًّا وإعلاما وطنيًّا واعيًّا ، وحدت صفها ، وحمت أمنها واستقرارها ، وكانت شوكة قوية في حلوق أعدائها .

ومن ثمة تسعى كثير من الدول إما إلى إنشاء كيانات إعلامية قوية ، أو شراء مساحات إعلامية واسعة ، أو استقطاب إعلاميين وكتاب يدينون لها بالولاء ويتحركون في الساحات التي تريدها ، حتى خارج حدودها للدفاع عن مصالحها ، وربما للنكاية في أعدائها وخصومها .

ومع أننا لا نمارس غير السياسة النظيفة ، ولا نستطيع أن نمارس غيرها، ولا يمكن أن نبتز للخروج على قيمنا الراقية ، فلا نغدر ، ولا نخون، ولا نطعن في الظهور ، ولا نمارس أساليب نخجل منها ، ولا نتدخل في شئون أحد ، فإننا إنما نعول على إعلام وطني يعي عظم المسئولية ، وحجم المخاطر والتحديات ، ونعول على كتاب ومثقفين وطنيين بحق ، يؤثرون مصلحة الوطن على الدنيا وما فيها ، مؤكدين ومتأكدين أن مصر بخير وستظل بخير بفضل الله (عز وجل) ، ثم بفضل أبنائها المخلصين في كل المجالات ، ولا سيما في مجالي المال والإعلام ، ففي جانب المال يجب أن يظهر معدن هذا الشعب العظيم في التراحم والتكافل ولا سيما في أوقات الكروب والنوازل والشدائد ، وفي مجال الإعلام يجب أن نعمل معًا على تعميق روح الولاء والانتماء ووحدة الصف الوطني في مواجهة التطرف والإرهاب من جهة ، والمخاطر والتحديات من جهة أخرى ، وثقتنا في هذا الشعب العظيم : في قياداته ، ومفكريه ، ومثقفيه ، وإعلامييه ، ورجال أعماله كبير وأملنا فيهم أكبر ، وستظل مصر عظيمة بأبنائها كل أبنائها ولن تضام أبدًا بإذن الله تعالى .

* * *

نحـــو مجتمع آمـــن مستـــقر

لا شك أن الأمن والأمان من أهم دعائم المجتمعات ووسائل استقرارها ، وإن شئت فقل إنه أهمها ، فلا استقرار بلا أمن ، ولا اقتصاد بلا أمن ، ولا نهضة ولا رقي ، ولا تقدم ولا ازدهار بلا أمن .

وقد دعا سيدنا إبراهيم (عليه السلام) لمستقر ولده إسماعيل وزوجه هاجر(عليهم جميعًا السلام) أول ما دعا بالأمن والأمان ، فقال عليه السلام كما أخبر النص القرآني على لسانه : {رَبِّ اجْعَلْ هذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ}(البقرة: ١٢٦) ، فدعا للمكان أن يكون بلدًا وأن يكون آمنًا ، وأن يرزق أهله من الثمرات حتى يحقق لهم الأمن الغذائي والنفسي إلى جانب الأمن العام ، فلما صار المكان بلدًا كرر إبراهيم عليه السلام الدعوة له بالأمن والأمان فقال:{رَبِّ اجْعَلْ هذَا الْبلدَ آمِنًا} (إبراهيم: ٣٥)، ويقول الحق سبحانه وتعالى مذكرًا بنعمه على أهل مكة: {أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا} (القصص: ٥٨) ، وقال سبحانه وتعالى : {لإِيلافِ قُرَيْشٍ * إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}(سورة قريش:١-٤) .

ولأهمية هذا الأمن أقسم به الحق سبحانه وتعالى فقال:{وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ}(التين : ١-٣) ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (من أصبح منكم آمنًا في سربه ، معافى في بدنه عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها) (رواه الترمذي). واعتبر الإسلام حرص الإنسان على توفير الأمن للآخرين ووفاءه بذلك

شرطًا من شروط الإيمان على اختلاف أقوال الفقهاء وشراح الحديث بين كونه شرط صحة أو شرط كمال ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (المؤمن من أمنه الناس على أموالهم) (رواه ابن ماجه) ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قالوا من يا رسول الله ؟ ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (من لا يأمن جاره بوائقه) (رواه البخاري) ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) (متفق عليه) ، ويقول الحق سبحانه وتعالى : {الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ } (الأنعام :٨٢).

وقد أشار الحق سبحانه إلى تحقيق الأمن والأمان لمصر وأهلها ، فقال سبحانه على لسان يوسف عليه السلام : { اُدْخُلُوا مِصْر إِنْ شَاءَ اللَّه آمِنِينَ}(يوسف : ٩٩) ، على أن النعم إنما تدوم بالشكر والمحافظة عليها .

ومن وسائل المحافظة على نعمة الأمن والاستقرار :

١- تحقيق العدل بين جميع أبناء الوطن ، فإن الله عز وجل ينصر الأمة العادلة ولو كانت كافرة ، ولا ينصر الأمة الظالمة ولو كانت مسلمة ، والمقصود بالعدل هو تحقيق العدل في جميع جوانبه من العدل في الحكم ، إلى العدل في القول ، إلى العدل في القسمة، إلى العدل في توزيع ثروات الوطن ، إلى العدل في الحصول على فرص العمل ، إلى العدل في تكافؤ الفرص في الصحة والتعليم والرعاية الاجتماعية ، فلما جاء رسول كسرى إلى سيدنا

عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ووجده نائمًا مطمئنًا تحت ظل شجرة قال كلماته الشهيرة : حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر ، ولما كتب أحد الولاة إلى سيدنا عمر بن عبد العزيز : أن اللصوص قد كثروا في مدينته فكتب إليه سيدنا عمر (رضي الله عنه) أن حصنها بالعدل.

٢- تطبيق القانون بحسم على الصغير والكبير دون أي تردد أو مجاملة أو محسوبية ، فلما جاء أسامة بن زيد يشفع في حد من حدود الله قال له النبي (صلى الله عليه وسلم) مستنكرًا : (أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟) ، ثم قال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أقامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ ، وايْمُ اللهِ ؛ لَوْ أَنَّ فَاطمَةَ بِنْتَ مُحمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعتُ يَدَهَا) (متفق عليه) .

٣- ومن هنا شرع الإسلام من الأحكام ما يحافظ على النفس والمال والعرض ، فشرع القصاص لحفظ النفس ، وحد السرقة لحفظ المال، وحد الزنا وحد القذف لحفظ العرض ، وحد الحرابة للمفسدين في الأرض ، فقال سبحانه :{إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (المائدة : ٣٣).

٤- التكافل والتراحم بين جميع أبناء المجتمع ، فمجتمع لا تراحم

فيه لا يمكن أن يكون آمنًا ، فنحن في سفينة واحدة ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا) (رواه البخاري).

٥- ومن هنا تأتي أهمية العناية بتطوير العشوائيات وتحسين الظروف المعيشية لساكنيها ، وتوفير الحاجات الأساسية لجميع أبناء المجتمع ، ذلك أننا عندما نوفر الحد الأدنى من الحياة الكريمة للأكثر فقرًا واحتياجًا ، فإننا نوفر الأمن والأمان للأسر الأكثر ثراءً ولساكني المناطق الراقية ، فعندما سأل سيدنا عمر بن الخطاب أحد ولاته ماذا تصنع إذا جاءك سارق؟ قال الوالي: أقطع يده ، فقال سيدنا عمر (رضي الله عنه) : فإن جاءني جائع قطعت يدك أنت ، فقبل أن تقطع يد السارق عليك أن توفر له قوت يومه ولو في حده الأدنى ، وهو ما نؤمل تحقيقه من خلال إنشاء منظومة الأمان الاجتماعي التي نسعى جميعًا جادين لتحقيقها في القريب العاجل.

٦- التربية الإيمانية الصحيحة التي تقوم على الثقة في الله (عز وجل)، وبيان أن ما كان للإنسان فسوف يأتيه ، وأنه لن تموت نفس

حتى تستوفي أجلها ورزقها ، لقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ رَوْحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي روعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا ، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ) (رواه البيهقي في شعب الإيمان) ، مع التأسي بحياة النبي (صلى الله عليه وسلم) وحياة أزواجه وأصحابه وتابعيه الذين لم تكن الدنيا أكبر همهم ، ولم تأخذ من حياتهم فوق ما تَقومُ به أسس هذه الحياة ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلاَتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ ، فَإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ) (رواه الترمذي وغيره) ، فليس لك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت ، ومن هنا دعا الإسلام إلى البعد عن كل مظاهر الترف والإسراف والتبذير ، ودعا إلى التراحم والتكامل وتحقيق الأمن المجتمعي لكل أبناء المجتمع ، وقد قال الإمام علي (رضي الله عنه) : " ما جاع فقير إلا بشح غني ، فإن وجدت فقيرًا جائعًا فاعلم أن هناك غنيًا ظالمًا لا يتقي الله في ماله ، ولا يعرف له فيه حقه ".

٧- التعاون المجتمعي في كشف المفسدين والمخربين والضرب على أيديهم بيد من حديد ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا ، أَوْ مَظْلُومًا ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ

مَظْلُومًا أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ : تَحْجُزُهُ ، أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنّ ذَلِكَ نَصْرُهُ) (رواه البخاري).

وهنا نؤكد أن الإسلام قد نهى عن كل ألوان الإفساد في الأرض ، فالإفساد والاعتداء على الممتلكات العامة والخاصة أو تعطيل الطرق أو الدعوة إلى تعطيل مسيرة الحياة وكل ما يضر مصالح الوطن مما لا يقره دين ولا خلق ولا عقل سليم ، ويجب على المجتمع أن يقف صفًّا واحدًا في مواجهة هذا الفساد ، مع تأكيدنا أن الدولة المصرية تتعرض لمحاولات إسقاط فاشلة عبر إنهاك جيشها وشرطتها بمخططات ودعاوى خبيثة مشئومة ، فعلى الجميع أن يتنبه لذلك ، وأن يقف صفًّا واحدًا في كل وجوه وألوان الفساد والإفساد في الأرض ، كلٌ يؤدي دوره من باب قول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ) (رواه الإمام مسلم) .

* * *

السياسة النظيفة

على هامش مشاركتنا في المؤتمر الشهري للشباب غالبًا ما نجد فرصة للحديث مع الزملاء والمشاركين من الشباب وغيرهم في الجوانب الثقافية والوطنية والقضايا العامة ، وعلى متن الطائرة ذهابًا إلى أسوان لحضور مؤتمر الشباب الذي أقيم بها دار حديث طويل بيني وبين أحد الزملاء حول بعض القضايا العامة ، ثم استرسل بنا الحديث حول بعض معاني الآيات القرآنية ، فقال بالحرف الواحد : سأعود مرة أخرى إلى قراءة القرآن الكريم هذه القراءة المتأنية الدقيقة المتأملة في المعاني ، ذلك أن القرآن الكريم معطاء لا ينفد عطاؤه إلى يوم القيامة ، فهو الذي لا تنتهي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد ، أي كثرة القراءة والتكرار ، بل كلما أعدت قراءته ازداد عذوبة وألقى إليك بالمزيد من أسراره .

ثم كان الحديث مع معالي السيد / طارق عامر رئيس البنك المركزي فقال: لقد وقفت عند قوله تعالى:{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ}(الحجر: ٨٥) فتأملت وأدركت وأيقنت أن جميع الأعمال الكبرى لا يمكن أن تقام ولا أن تتم إلا بالحق ، فاسترعى كلامه ذلك انتباهي بشدة وجعلني أجيل النظر مرات ومرات في النص وفيما أعلم من كواليس السياسة ، وما يطرح في المنتديات الكبرى عن ممارسة السياسة النظيفة ، التي لا تعرف المؤامرة على أحد ، تراعي وبأمانة حق الجار ، وحق الصديق ، وحق الدول الشقيقة والصديقة ، وتتحلى بالحكمة وضبط النفس والترفع عن الصغائر والدنايا ، ولا تنجر إلى معارك

كلامية ، ولا تنزل إلى ما لا يليق بتاريخها وحضارتها ، ونظرت وبحق وصدق في ممارستنا السياسية فأيقنت أننا في أزهى عصور ممارسة السياسة النظيفة ، وأن السياسة يمكن أن تكون طهارة ، وأننا يمكن أن نبدد النظرة التي كانت في بعض الفترات سلبية تجاه السياسة وبعض السياسيين ، وأؤكد أن الغايات الشريفة لا يمكن أن تتحقق إلا بالوسائل الشريفة ، وأن مبدأ الانتهازية وأن الغاية تبرر الوسيلة يمكن بسهولة نقضه أو على أقل تقدير تجاوزه.

وإذا كانوا يقولون : الناس على دين ملوكهم ، فهذا صحيح إلى حد ما ، إذ يسير الناس في الغالب حول سياسة ملوكهم ويدورون في فلكها ، فإذا كان القائد متقيًّا لله (عز وجل) في جميع تصرفاته ، مراقبا له ، ووقّافًا عند مرضاته ، فإن ذلك وبلا أدنى شك سينعكس على كل مَنْ حوله .

وإنني لأرى أننا قادرون أن نكون الأنموذج الأمثل في ممارسة السياسة النظيفة ، علمًا بأن ممارسة هذه السياسة لا بد لها من ضريبة تدفع ، فقد حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات ، والحق سبحانه وتعالى يقول : {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}(العنكبوت : ٢-٣) ، ويقول سبحانه : {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} (البقرة : ٢١٤).

عصر القانون

نستطيع أن نقول وباطمئنان : إن الدولة المصرية تسير وبقوة إلى ترسيخ وسيادة دولة القانون ، وإن زمن البلطجة أو الصعاليك الجدد قد ولى ، أو إنه آخذ في الاندثار على أقل تقدير وفي طريقه للتلاشي وبلا رجعة إن شاء الله تعالى.

وإذا أردنا أن نقضي على جميع ظواهر البلطجة فلا بد ومن باب المعادل الموضوعي أن نعمل جميعًا على ترسيخ سيادة الدولة الوطنية وسيادة القانون ، وأن نقف جميعًا صفًّا واحدًا خلف قواتنا المسلحة الباسلة ، وخلف شرطتنا الوطنية ، وخلف السادة المحافظين واللجان المختصة بتنفيذ إزالة التعديات ، وأن ندرك أن تنفيذ إزالة هذه التعديات واجب شرعي ووطني، وأن حرمة المال العام أشد من حرمة المال الخاص ، ذلك أن المال الخاص تتعلق به ذمة شخص أو مجموعة أشخاص ، أما المال العام فتتعلق به ذمة المجتمع بأسره ، ذلك أن هذا المال إنما هو مال جميع المواطنين، جيلا بعد جيل ، فهو حقنا ، وحق أبنائنا وأحفادنا وسائر الأجيال القادمة ، فكل شيء إنما يشتريه الإنسان مرة واحدة ، إلا الوطن فإن كل جيل إنما يدفع في ثمن الحفاظ عليه والعمل على ريادته وتقدمه ضريبته ، وبمقدار ما يقدم كل جيل من ضريبة وتضحيات يكون إعلاء شأن هذا الوطن ، والحفاظ على كل ذرة من ترابه وثراه الندي.

ومن ثمة نؤكد على أمرين هامين ، أولهما : ما أكدنا عليه مرارًا من

أهمية وضرورة سيادة الدولة ، وإعلاء دولة القانون والدستور ، فهو لواء واحد تنضوي تحته وفي ظله سائر الألوية ، أما أن تحمل أي جهة أو جماعة لواء فهذا خطر داهم لا يستقر معه بناء الدول ، وعليه يجب الضرب بقوة وبيد من حديد على أيدي جميع الخارجين على القانون ودولة القانون .

الأمر الآخر : هو التحذير من سوء عاقبة الاعتداء على المال العام وبيان أنه سحت ونار تحرق كل من تسول له نفسه الاعتداء عليه ، حيث يقول الحق سبحانه:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا }(النساء : ٢٩) ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (كُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ) (رواه الطبراني) ، وقوله (صلى الله عليه وسلم): (وَإِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ لَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (رواه البخاري) .

نريد لسيادة القانون أن تعم في القضاء على الفوضى ، فشتان بين الدولة والفوضى ، بل كل منهما نقيضان تامان ، فالدولة تعني النظام ، والفوضى تعني اللادولة ، وبمقدار حدوث الفوضى ينقض كيان الدولة.

وإذا كانت الدولة تعمل شأنها وبقوة في إزالة التعديات فإن الأمر الأهم هو ما بعد إزالة هذه التعديات من قيام كل جهة بواجبها في الحفاظ على أملاك الدولة المستردة ، والعمل على حسن استثمارها ، مع سن التشريعات اللازمة لتجريم الاعتداء على المال العام وتغليظ عقوبة

هذا الاعتداء حتى يكون ثمة رادع قوي لكل من تسول له نفسه الاعتداء على المال العام ، وكذلك من يسهل الاعتداء عليه بأي صورة من الصور أو يتواطأ مع المعتدين عليه بأي شكل من الأشكال.

وإلى جانب القانون ودولة القانون فهناك جانب هام لا يمكن لعاقل أن يغفل عنه ، وهو القانون الإلهي في سوء عاقبة المعتدين .

وإذا كان من أهم ما نستفيده من حكم الصيام حسن المراقبة لله (عز وجل) ، وتحقيق التقوى التي أرادها كحكمة من حكم هذا الشهر الكريم وغاية من غاياته فعلينا أن نحقق ذلك في كل جوانب حياتنا لا في مجرد الامتناع عن شهوتي البطن والفرج من الفجر إلى المغرب ، تحقيقًا لقول الحق سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}(البقرة : ١٨٣)، وحذرًا مما حذرنا منه الحق سبحانه في قوله : {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء} (إبراهيم : ٤٢ ، ٤٣).

* * *

حروب الجيل الخامس

التاريخ شاهد ، والأيام شاهدة ، أن كل انتصار عسكري كان وراءه قائد شجاع ، وآخرون مؤمنون بفكره ، واثقون فيه ، داعمون له ، سواء من زملائه الذين يكونون خير سند له ، أم من أصحاب الفكر والرأي الذين يعدون خير داعم فكري ومعنوي له.

وفي عصرنا الحاضر تغيرت معطيات كثيرة ، وبخاصة في نظم الحرب وأساليبها ، فلم تعد الحرب أحادية البعد ، أي أنها لم تعد عسكرية محضة، أو أمنية محضة ، ولا حتى مخابراتية محضة بالمفهوم التقليدي للنظم المخابراتية القديمة ، فقد تطورت أساليب حروب الجيل الرابع ، ودخلنا دون أن يشعر كثيرون في ما يمكن أن يطلق عليه حروب الجيل الخامس التي جرى ويجري تطبيقها فيما أطلق عليه زورًا وبهتانًا الربيع العربي المشئوم ، حتى صارت كلمة الربيع التي توحي بالبهجة وتشيع البسمة على حد قول البحتري :

أَتاكَ الرَبيعُ الطَلقُ يَختالُ ضاحِكًا ** مِنَ الحُسنِ حَتّى كادَ أَن يَتَكَلَّما

توحي بعكس ذلك من الشؤم والخراب والتدمير ، وبالطبع لم يكن اختيار مصطلح الربيع العربي عفويًّا أو مصادفة ، إنما كان مقصودًا لإحداث لون من التعمية أو التعتيم ، وتحقيق ضرب من المخادعة ، على شاكلة مصطلحات الفوضى الخلاقة ، والفوضى البناءة ، بدلا من الفوضى المدمرة ، مع أن الفوضى هي الفوضى لا تخلف غير الخراب والدماء .

وطبعًا لم يكن الربيع ربيعًا ، لأنه لم يخلف غير الخراب والدمار والدماء ، وتجاوزت الحيل والأساليب القذرة المبتكرة لإسقاط منطقتنا وإفشال دولها كل ما يمكن أن يطلق عليه حروب الجيل الرابع ، إلى ما يمكن أن نعتبره حالة خاصة صنعت لإنهاك منطقتنا فيما يمكن أن نطلق عليه حروب الجيل الخامس ، وهي الحروب الأكثر قذارة في تاريخ الإنسانية ، لاستخدامها كل الوسائل غير المشروعة من توظيف الإرهاب وتبني الإرهابيين ودعمهم تحت مسمى حربهم ، وتعظيم أمر الخيانات ، وشراء الولاءات ، ومنهجة استخدام سلاح الشائعات الذي صار فنًا يكاد يدرس بل يُدرس ويتم التدريب عليه من قبل بعض الجهات المشبوهة ، وتُوظف له الكتائب الإلكترونية ، مع استخدام أقصى وسائل الحصار والضغط السياسي والاقتصادي والنفسي ، والمحاولات المستميتة في إثارة الشعوب وتأليبها على حكامها ، وتشويه الرموز والمكتسبات الوطنية ، والتشكيك في كل الإنجازات والتهوين من أمرها ، وتحالف الجماعات والقوى الإرهابية ، ومحاولات اختراق المؤسسات ، وإثارة أي نعرات تؤدي إلى الفرقة بآلية ممنهجة وغير مسبوقة ، والتوظيف غير المسبوق للمعلومة ، وتجنيد بعض وسائل التواصل الحديثة بل الكثير منها ، واللعب على وتر الحاجة والمصالح الآنية التي لا يحتمل بعضها الصبر عليه ، ومحاولة كسر إرادة الشعوب ، والعمل على كسر هيبة الحكام ، والتشكيك في العلماء والمفكرين والمثقفين الوطنيين ، ودعم مناوئيهم ، وتوجيه رسائل التهديد المبطنة تارة والصريحة أخرى للمتمسكين

بمبادئهم المخلصين لأوطانهم ، بإبراز مصائر من لم يسر في الركب وينضم للمخطط الآثم ، ويرفع راية التسليم ويركع ويُركّع من خلفه ، مما جعل قضية الصمود في وجه كل هذه الموجات العاتية أمرًا استثنائيًّا يحتاج إلى عقيدة إيمانية ووطنية فولاذية ، وثقة في الله غير محدودة .

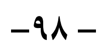
ولم يعد من الوطنية ولا الحكمة ولا الشعور بالمسئولية ولا حتى المصلحة الوطنية أوالعامة ولا حتى المصلحة الشخصية أن يُترك القادة العسكريون والأمنيون وحدهم في ميدان هذه الحرب التي لم تعد تقليدية تعتمد على شجاعة المقاتل وحدها ، بل صار واجبًا حتميًّا شرعيًّا ووطنيًّا أن ندعم قياداتنا السياسية ، وقواتنا المسلحة الباسلة ، وشرطتنا بكل ما نملك من وسائل الدعم ، مع تأكيدنا على مشروعية الدولة الوطنية في مقابل ما تسوقه الجماعات العميلة الخائنة التي تتاجر بدين الله (عز وجل) من عدم الاعتداد بحدود الدول ولا استقلالها ، وتراها حدودًا وهمية لا قيمة لها ، بل ترى أوطانها حفنة من التراب لا قيمة لها ، وهو ما لا يخدم إلا مصلحة أعدائنا المتربصين بنا الذين يعملون على زعزعة الانتماءات الوطنية والقومية .

في حين أننا نؤكد أن الأمر على العكس تمامًا ، فكل ما يدعم صمود الدولة الوطنية ويدعم بناءها ويعزز مكانتها هو من صلب الدين ، وكل ما يهدد كيانها وينال من وجودها أو يسعى في أطرافها فسادًا أو إفسادًا إنما يتنافى مع كل مبادئ الدين والقيم والوطنية ، ويعد خيانة للدين والوطن ، وعمالة لأعدائهما المتربصين بنا .

على أن المسئولية الأكبر إنما تقع على عاتق علماء الدين والمثقفين والإعلاميين والكتاب ، لما لكل هؤلاء من أثر بالغ في صناعة الوعي ، ومواجهة التحديات ، وتفنيد الشائعات ، وإبراز الحقائق ، وكشف حجم المؤامرات ، وهو ما يعيه ويتبناه كثير من كتابنا ومثقفينا وإعلاميينا الوطنيين جيدًا ، ويعملون على التوعية به ما وسعهم السبيل ، غير أننا في حاجة إلى تحويل هذه الظواهر الإيجابية إلى حالة وعي عام واستنارة عامة وتوعية شاملة أو قل تعبئة فكرية عامة ، تتوازن وحجم ما يحاك لأوطاننا من مؤامرات لم تعد خفية على لبيب ولا غير لبيب .

* * *

مختـارات
من الشـــعر الـوطـني



مختارات من الشعر الوطني

*** يقول حافظ إبراهيم في قصيدته الرائعة : " مصر تتحدث عن نفسها":**

وَقَفَ الخَلقُ يَنظُرونَ جَميعاً كَيفَ أَبني قَواعِدَ المَجدِ وَحدي

وَبُناةُ الأَهرامِ في سالِفِ الدَهرِ كَفَوني الكَلامَ عِندَ التَحَدّي

أَنا تاجُ العَلاءِ في مَفرِقِ الشَرقِ وَدُرّاتُهُ فَرائِدُ عِقدي

أَنا إِن قَدَّرَ الإِلَهُ مَماتي لا تَرى الشَرقَ يَرفَعُ الرَأسَ بَعدي

ما رَماني رامٍ وَراحَ سَليماً مِن قَديمٍ عِنايَةُ اللَهُ جُندي

كَم بَغَت دَولَةٌ عَلَيَّ وَجارَت ثُمَّ زالَت وَتِلكَ عُقبى التَعَدّي

إِنَّني حُرَّةٌ كَسَرتُ قُيودي رَغمَ رُقبى العِدا وَقَطَّعتُ قِدّي

إِنَّ مَجدي في الأولَياتِ عَريقٌ مَن لَهُ مِثلَ أولَياتي وَمَجدي

أَتُراني وَقَد طَوَيتُ حَياتي في مِراسٍ لَم أَبلُغِ اليَومَ رُشدي

أَمِنَ العَدلِ أَنَّهُم يَرِدونَ الماءَ صَفواً وَأَن يُكَدَّرَ وِردي

أَمِنَ الحَقِّ أَنَّهُم يُطلِقونَ الأُسدَ مِنهُم وَأَن تُقَيَّدَ أُسدي

نَظَرَ اللَهُ لي فَأَرشَدَ أَبنائي فَشَدّوا إِلى العُلا أَيَّ شَدِّ

إِنَّما الحَقُّ قُوَّةٌ مِن قُوى الدَيانِ أَمضى مِن كُلِّ أَبيَضَ هِندي

قَد وَعَدتُ العُلا بِكُلِّ أَبِيٍّ مِن رِجالي فَأَنجِزوا اليَومَ وَعدي

وَارفَعوا دَولَتي عَلى العِلمِ وَالأَخلاقِ فَالعِلمُ وَحدَهُ لَيسَ يُجدي

نَحنُ نَجتازُ مَوقِفاً تَعثُـــرُ الآراءُ فيــهِ وَعَثــرَةُ الــرَأيِ تُـــردي
فَقِفوا فيهِ وَقفَـةَ الحَـزمِ وَارمـوا جانِبَيـــهِ بِعَزمَـــةِ المُستَعِــدِّ

* **ويقول في قصيدة له بعنوان: " كم ذا يكابد عاشق ويعاني":**

كَم ذا يُكابِـدُ عـاشِقٌ وَيُـلاقي في حُـبِّ مِصـرَ كَثيـرَةِ العُشّاقِ
إِنّي لَأَحمِـلُ فـي هَواكِ صَبابَةً يا مِصـرُ قَد خَرَجَـت عَـنِ الأَطواقِ
لَهفـي عَلَيـكِ مَتـى أَراكِ طَليقَةً يَحـمي كَـريمَ حِمـاكِ شَعبٌ راقي
كَلِـفٌ بِمَحمـودِ الخِـلالِ مُتَيَّـمٌ بِالبَـذلِ بَيـنَ يَدَيـكِ وَالإِنفـاقِ
إِنّـي لَتُطـرِبُني الخِـلالُ كَريمَةً طَـرَبَ الغَـريـبِ بِأَوبَـةٍ وَتَلاقي
وَتَهُـزُّني ذِكـرى المُروءَةِ وَالنَدى بَينَ الشَمـائِلِ هِـزَّةَ المُشتـاقِ
ما البـابِلِيَّةُ فـي صَفـاءِ مِزاجِها وَالشَـربُ بَـينَ تَنافُـسٍ وَسِباقِ
وَالشَمسُ تَبدو في الكُئوسِ وَتَختَفي وَالبَـدرُ يُشـرِقُ مِن جَبيـنِ الساقي
بِأَلَـذَّ مِن خُلُـقٍ كَريـمٍ طاهِرٍ قَـد مازَجَـتهُ سَـلامَـةُ الأَذواقِ
فَـإِذا رُزِقـتَ خَليـقَةً مَحمودَةً فَقَـدِ اِصطَـفاكَ مُقَسِّمُ الأَرزاقِ
فَالنـاسُ هَـذا حَظُّـهُ مالٌ وَذا عِلـمٌ وَذاكَ مَكـارِمُ الأَخـلاقِ
وَالمـالُ إِن لَـم تَدَّخِرهُ مُحَصَّناً بِالعِلـمِ كـانَ نِهـايَةَ الإِمـلاقِ
وَالعِلـمُ إِن لَـم تَكتَنِـفهُ شَمـائِلٌ تُعليـهِ كـانَ مَطِيَّـةَ الإِخـفاقِ
لا تَحسَبَـنَّ العِلـمَ يَنفَـعُ وَحـدَهُ مـا لَـم يُتَـوَّج رَبُّـهُ بِخَـلاقِ

* * *

* **ويقول أحمد محرم في قصيدة له بعنوان: " من يسعد الأوطان غير بنيها":**

من يُسعــدُ الأوطــانَ غيــرَ بَنِيهَا   ويُنيلُــها الآمــالَ غَيــر ذَوِيــها

ليس الكريمُ بمن يَرى أوطــانَه   نهــب العــوادي ثم لا يحمــيها

ترجــو بنجدتــه انقضــاء شقائها   وهـــو الـــذي بقعــوده يشقيــها

وَتَـوُد جَاهــدةً بـه دَفْـع الأَذَى   عن نفســها وهـــو الــذي يُؤْذِيها

سُبُـــل المكَـــارِم للْكـرَام قَوَيمة   فَعَـــلام يُخْطئُـــهَا الــذي يَبْغيها

مــا أَكْثَـــرَ المتَفَاخَـــرين وإنَّــما   فَخْـرُ الكـرامَ بمَـا حَبَـتْ أَيْدِيها

يَحْـوِي الكريمُ المالِ لا يبغي بهِ   شَيْــئاً سِــوَى أكرومــةٍ يَحْويــها

والجُود يُحْمَدُ حيث كانِ وَخيُرهُ   مَا نَــال أوطـان الفَتَـــى وَبنيهَــا

وَلَقلَّمــا أَرضــىَ امــرؤٌ أوطـاَنِه   حَتَــى تَــرَاهُ بِنَفْســـهِ يَفْديهَــا

يَــا آل مِصــرَ وَمَــا يُـؤَدِّي حَقَّهاَ   إلاَ فَتَـــىً يَكْفِـــي اِلــذي يعنيهَا

أَيَضنٌ منكُــم بالمَعُـــوَنة مُوسِــرٌ   يَلْهُـــو ويمـــرحُ كــلَ آنٍ فِيهَــا

هِي أُمكم لا كَــان مِـــنِ أَبْنائَها   مَــنْ لاَ يُواسِيــهــا وَلا يُرْضيــهَــا

وَهَبَتْكمٌ الخَيْرَ الجَزِيـلَ فَهَلْ فَتَىً   مِنكُــمْ بِحُسْـــنِ صَنِيعِــهَا يَجزِيهَا

* **ويقول في قصيدة له بعنوان: " فداؤك نفسي من لواءٍ محببٍ":**

وما منــعَ الأوطـــانَ إلا حمـــاتُها   وذادتها من ذي شـــبابٍ وأشيـــب

همو ذخرها المرجوّ في كل حادثٍ   وعُـدتُها فــي كـــل يــومٍ عصبــصب

سلامُ عليهم مـــن كهُـــولٍ وفتيـــةٍ   وبورك فيهـم مـــن شُهــودٍ وغيـــب

* **ويقول في قصيدة له بعنوان: "ركد الرجاء فما يهزك مأرب":**

مصرُ الحياة وحبَّها الشرفُ الـذي بِطُـرازِه العـالي أَدلُّ وأَعْجَـب
نفسيِ ومـا ملكـت يَـداي لأُمتي وَسراُة آبائيِ وَمن أَنـا مُنْـجِب
أبنـي إنــك للبــلاد وإنــها لك بعـد والدك التـراث الطـيب

* * *

* **ويقول إسماعيل صبري في قصيدة له بعنوان:" التغني بعظمة مصر":**

لا تَقرَبوا النيـلَ إن لم تَعمَلوا عملا فَمـاؤهُ العـذبُ لم يُخـلَق لِكَسلانِ
وَابنوا كمـا بَنـتِ الأَجيالُ قَبلَكمُ لا تَترُكـوا بعدَكـم فخـرًا لإِنسانِ
لا تَترُكوا مُستَحيـلاً فـي اِستِحالتِهِ حتّى يُميطَ لكُـم عن وجهِ إمكانِ
يَبنونَ ما تَقِفُ الأَجيـالُ حـائِرَةً أمامَـه بـين إعجـابٍ وَإذعـانِ
من كُلِّ ما لَم يَلِد فكرٌ وَلا فُتِحَـت على نَظائِرِهِ فـي الكَـونِ عَينـانِ
وَيُشبِهـونَ إذا طـاروا إلـى عملٍ جِنّـاً تَطيـرُ بِأَمـرٍ من سُلَيـمانِ
جاءَت إِلَيهـا وُفـودُ الأَرضِ قاطِبةً تَسعـى اشتِياقاً إلى ما خلَّدَ الفاني
فَصَغَّـرت كـلَّ موجـودٍ ضَخامَتُها وَغضَّ بُنيانُـها مـن كـلِّ بُنـيانِ
وعـادَ مُنـكِرُ فَضـلِ القَومِ مُعتَرِفًا يُثنى علـى القَـومِ في سِرٍّ وَإعلانِ
تِلكَ الهَياكِلُ في الأَمصارِ شاهِدَةً بِأَنَّهُـم أهـلُ سَبـقٍ أهـلُ إمعانِ
وَأنَّ فِـرعَونَ فـي حـولٍ وَمَقدِرَةٍ وَقومَ فِرعَـونَ في الإِقدامِ كُفؤانِ
إذا أقـامَ عَلَيــهم شاهِـداً حـجرٌ في هَيكَلٍ قامَتِ الأُخرى بِبُرهانِ

* * *

*** ويقول أحمد الكاشف في قصيدة له بعنوان: " شرا يرى الناس أم خيرا يلاقونا ":**

من لم يرَ اليومَ في العُمرانِ موضعَه   لم يلقَ في غَـدِهِ دُنيا ولا دِينا
ونحـنُ أولَـى بأن نَرعَـى مواطِنَنَا   نُوفي المكَاييـلَ فيهَا والموازِينا

* * *

*** ويقول أحمد شوقي في قصيدة له بعنوان : " بني مصر مكانكمُو تهَيَّا ":**

بنـــي مصــرَ مكانكمُـو تهــيَّا   فَهَيَّـــا مَهــدُوا للمُلــكِ هيــَّا
خــذوا شمسَ النهـارِ له حُلـيَّا   أَلم تَـكُ تـاجَ أَوّلِكـم مَلِيَّا ؟!
لنـــا وطـــنٌ بأَنفسِـــنا نَقــيه   وبالدُّنيـــا العريضـــةِ نَفتــديه
إذا مـا سيــلَتِ الأرواحُ فــيه   بذلنــاها كــأنْ لــم نعطِ شيَّا
لنا الهـرَمُ الـذي صحِبَ الزمانا   ومــن حَــدَثانِه أَخــذَ الأَمانا
ونحنُ بنو السَّنـا العالي نمانـا   أَوائلُ عَلَّــموا الأُمَــمَ الرُّقِــيَّا
تطــاولَ عهــدهمْ عزًّا وفخرًا   فلما آل للتــاريـــخِ ذُخْـــرا
نشأنا نشــأةً في المجدِ أخرى   جَعَلنا الحــقَّ مَظْهــرَها العَلِــيّا
جعلنا مِصْـرَ مِلَّــةَ ذي الجَلالِ   وألفـنا الصلـيبَ على الهلالِ
وأقبلـنا كــصفٍّ مــن عــوالِ   يشـدُّ السَّمْـــهَرِيُّ السَّمْهَـــرِيّا
نــرومُ لمـــصرَ عـــزًّا لا يـــرامُ   يرفُّ عـلى جــوانــبه السَّلامُ
وينعَــمُ فيــه جيــرانٌ كِــرامُ   فلــن تجــدَ النَّزيـلَ بنا شقيَّا
نقــومُ علـــى البنـايةِ محسنينا   ونعهَــدُ بالتَّمــامِ إلــى بنيـــنا

إليْكِ نَموتُ ـ مِصْرُ ـ كما حَيينا   ويبقى وجهكِ المفديُّ حيَّا

* **ويقول في إحدى وطنياته:**

بِلادٌ ماتَ فِتيَتُها لِتَحيا   وَزالوا دونَ قَومِهِمُ لِيَبقوا
وَقَفتُمْ بَينَ مَوتٍ أَو حَياةٍ   فَإِن رُمتُمْ نَعيمَ الدَهرِ فَاشْقَوا
وَلِلأَوطانِ في دَمِ كُلِّ حُرٍّ   يَدٌ سَلَفَت وَدَينٌ مُستَحِقُّ
وَمَن يَسقى وَيَشرَبُ بِالمَنايا   إِذا الأَحرارُ لَم يُسقوا وَيَسقوا
وَلا يَبني المَمالِكَ كَالضَحايا   وَلا يُدني الحُقوقَ وَلا يُحِقُّ
فَفي القَتلى لِأَجيالٍ حَياةٌ   وَفي الأَسرى فِدًى لَهُمُ وَعِتقُ
وَلِلحُرِّيَّةِ الحَمراءِ بابٌ   بِكُلِّ يَدٍ مُضَرَّجَةٍ يُدَقُّ

* **ويقول في قصيدة له بعنوان: "اِختِلافُ النَهارِ وَاللَيلِ يُنسي":**

اِختِلافُ النَهارِ وَاللَيلِ يُنسي   اُذكُرا لِيَ الصِبا وَأَيّامَ أُنسي
وَصِفا لي مُلاوَةً مِن شَبابٍ   صُوِّرَت مِن تَصَوُّراتٍ وَمَسِّ
عصفتْ كالصَّبا اللعوبِ ومرّت   سِنةً حُلوةً، ولذَّةُ خَلْس
وسلا مصرَ: هل سلا القلبُ عنها   أو أَسا جُرحَه الزمان المؤسّي؟
كلما مرّت الليالي عليه   رقَّ، والعهدُ في الليالي تقسِّي
مُستَطارٌ إذا البواخِرُ رنَّتْ   أولَ الليل، أَو عَوَتْ بعد جَرْس
راهبٌ في الضلوع للسفنِ فَطن   كلما ثُرْنَ شاعَهن بنَقسْ
يا ابنةَ اليمِّ، ما أبوكِ بخيلٌ   ما له مولعًا بمنعٍ وحبس؟
أَحرامٌ عَلى بَلابِلِهِ الدَوحُ   حَلالٌ لِلطَيرِ مِن كُلِّ جِنسِ

كُــلُّ دارٍ أَحَــقُّ بِـالأَهـــلِ إِلّا   في خَبيثٍ مِنَ المَذاهِبِ رِجسِ
نَفسـي مِرجَلٌ وَقَلـبي شِـــراعٌ   بِهِما في الدُموعِ سيري وَأَرسـي
وَاِجعَلي وَجهَكِ الفَنارَ وَمَجراكِ   يَـدَ الثَـغرِ بَـينَ رَمـلٍ وَمَكـسِ
وَطَــني لَــو شُغِلتُ بِالخُلدِ عَنــهُ   نازَعَتني إِلَيهِ في الخُلــدِ نَفسي
وَهَفـا بِالفُــؤادِ فـي سَلسَبـــيلٍ   ظَمَأٌ لِلسَوادِ مِــن عَيــنِ شَمــسِ
شَهِـدَ اللَهُ لَم يَغِـب عَن جُفـوني   شَخصُـهُ ساعَـــةً وَلَم يَخلُ حِسّي

وفيها يقول :

وَكَـأَنَّ الأَهــرامَ ميــزانُ فِرعَــونَ   بِيَـــومٍ عَلـــى الجَبـــابِرِ نَحـسِ
أَو قَنــاطيـــرُهُ تَأَنَّـــــقَ فيـــها   أَلــفُ جــابٍ وَأَلفُ صاحِـبِ مَكسِ
رَوعَـــةٌ فــي الضُحى مَلاعِبُ جِنٍّ   حينَ يَغشى الدُجى حِماها وَيُغسي
وَرَهيـــنُ الرِمـــالِ أَفطَـــسُ إِلّا   أَنَّـــهُ صُــنعُ جِنَّـــةٍ غَــيرُ فُطـــسِ
تَتَجَلّــى حَقيقَـــةُ النـــاسِ فيـــهِ   سَبُعُ الخَلــقِ في أَساريــرِ إِنسـي
لَعِـــبَ الدَهـرُ فــي ثَـــراهُ صَبِيّــاً   وَاللَيالـــي كَواعِبـــاً غَيـــرَ عُنـسِ

* * *

* **ويقول في قصيدة له بعنوان : " قبرَ الوزيرِ ، تحيَّةً وسَلاما "** :

أَعَهِــدْتَنَــا والقِبْـــطَ إلاَّ أُمّـــةً	للأَرض واحــدة تَــروم مَــرامــا؟
نعلــي تعاليـمَ المسيـحِ لأجلهــم	ويوقِّـــرون لأجلنــا الإســلامَــا
الدِّيـــنُ للدَّيّـــانِ جــلَّ جلالُـــه	لــو شـــاءَ ربُّــكَ وَحَّــدَ الأَقواما
يا قومُ بانَ الرُّشدُ فاقْصُوا ما جرى	وخُذوا الحقيقةَ وانبذوا الأَوهاما
هــذي ربوعكــمُ وتلــك ربــوعنــا	مُتقــابلـيـــن نعالـــج الأَيـــامـــا

هــذي قبـوركـمُ وتلـك قبورنـا	مُتجاوريـنَ جَمـاجمًـا وعِظـامًـا
فبحُـرمـةِ المَوْتَى وواجبِ حقِّهم	عيشوا كمـا يقضـي الجـوارُ كرامًـا

*　　*　　*

* **ويقول أحمد نسيم في قصيدة له بعنوان**: **" أقباط مصر ومسلموها ضمهم"**:

أقباطُ مصـرَ ومسلمُـوهـا ضمَّهُــم　　دينُ المسيــح وشِرعــةُ الإِســلامِ

الناشئون على الطهـارة والتُّقــى　　والقائِمُــون بمَصـــرَ خيــرَ قيــام

والخالـدون إلــى السكينـة كُلَّمـا　　جــاء الزمــانُ بِشِـــدة وعــرام

بــرِح الخفــاء وبـــان أنَّــا أمــة　　لـم تبــغ غيــر محبـــة ووئـــام

إنَّا لنرجـــو أن نعيـــش بغبطـــة　　توحـــي الســلام وتنتهي بسلام

*　　*　　*

* **ويقول محبوب الخوري**:

قالوا تُحبُّ العُربَ قلـت: أُحِبُّهُــم　　يقضــي الجِوارُ عليَّ والأرحــامُ

قالوا: لقد بَخِلوا عليـكَ أَجَبْتُهـم　　أَهْلِــي وإن بَخِــلوا علَــيَّ كِرامُ

قالــوا الدِّيانةَ قلت: جيـلٌ زائـلٌ　　وتزولُ معــهُ حـــزازةٌ وخصـــام

ومحمـــدٌ بطـــلُ البريّــة كلِّهـا　　هـــو للأعــاربِ أجمعـينَ إِمامٌ

*　　*　　*

* **ويقول رشيد سليم الخوري**:

بِنْــتَ العُرُوبَــةِ هَيِّئِـــي كَفَنِــي　　أَنَا عَــائِدٌ لأَمُـــوتَ فِــي وَطَنِــي

*　　*　　*

فهرس الموضوعات

❊ ❊ ❊